المكتب 17

إدارة المهام الخاصة

روايات مصرية للجيب



عملية حصان طروادة

طباعة ونشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

عملية
حصان طروادة

تسلل الإغريق إلى (طروادة) داخل حصان من خشب، فسقطت المدينة المنيعة بفعل خدعة بسيطة ... طبق هذه الأحداث على عصر الحاسبات والشبكات، واشرع فى قراءة الرواية الآن!



محمد سليمان عبد المالك

المكتب 17
إدارة المهام الخاصة

★★★★

سلسلة روايات عصرية للشباب حافلة بالمغامرة والإثارة والتشويق





العدد القادم: عملية خط النار

الثمن فى مصر ٢٠٠
ومايعادله بالدولار الأمريكى
فى سائر الدول العربية والعالم

١ـ مخـــاوف ..

انتهى العميد (منصـور حـرب) من صب المـاء الساخن فى كوبين من البلاسـتيك الأبيـض ، يحوى كل منهما كيسًا من الشاى المعبأ ، ومد يده بواحد منهمـا إلـى (عمـر زهـران) الجـالس قبالتـه فى استكانة متحفزة ..

ـ هل هذا ما طلبت لقائى بشأنه ، نقيب (عمر) ؟!

أمسك (عمر) الكوب غير عابئ بسـخونته ، وتنحنح مجيبًا فى محاولة لتجـاوز مـا شعر بـه من حرج :

ـ اعتقدت أنه أمر يستحق يا سيدى !

جلس العميد (حرب) أمامـه تاركـًا مقعد مكتبـه الوثير شاغرًا ، ورشف من شايه رشفة ثم قـال فـى لهجتهِ الرصينة الهادئة العميقة :

ـ وأنا اعتقدت أننا قد تحدثنا فـى هذا الأمـر مـن قبل ..

- نعم يا سيدى .. ولكن من طرف واحد لو تذكُر !

وأسرع (عمر) يستدرك مفسرًا مغزى حديثه :

- أعنى أننى أرسلت لكم من (هونج كونج) - عندما كنت هناك منذ أيام - أسألكم الرأى ولم أتلق الرد للآن !

رشف العميد (حرب) من شايه مرة أخرى ثم قال :

- وهأنت قد عدت ، نقيب (عمر) .. ألا يعد هذا ردًا عمليًا مناسبًا ؟!

وضع (عمر) كوبه فوق سطح المكتب الزجاجى وهو يقول عاقدًا حاجبيه بانزعاج :

- لكنى لم أفهم يا سيادة العميد !

وضع العميد (حرب) ساقًا فوق أخرى وهو يسأل بنفس الهدوء والرصانة والعمق :

- لم تفهم ماذا ؟!

صمت (عمر) للحظات محاولاً استجماع أفكاره ولَمّ شتاتها ، حتى استطرد فى النهاية :

- سيادة العميد .. لقد ذهبت إلى (هونج كونج) مرورًا بـ (جنوب إفريقيا) أولاً وبصحبتى خبيرة حاسبات آلية متمكنة لمكافحة خطر مجهول اسمه (الموت الأسود) ، تعد له منظمة عابثة مكونة من خمسة أعضاء أغلبهم ما زالوا طلبة جامعيين ، وهناك - وبطريقة ما زالت غامضة - استطاعوا كشف هويتى الحقيقية وتم تقييدى وإيداعى مخزنًا للبضائع المقلدة ، استطعت الهروب منه بأعجوبة ، وعن طريق خطأ بسيط استطعنا كشف كنه (الموت الأسود) المزعوم ودرء خطره ، وقمنا بإبلاغ (الاتحاد العالمى لمكافحة جرائم الحاسب الآلى) - الشهير بـ (المؤسسة) - لتعتقل الأعضاء الخمسة فى الوقت المناسب(*) وتنقلهم إلى حيث ستتم محاكمتهم فى (جنيف) حيث يقع المقر الرسمى للاتحاد .. السؤال ها هنا : كيف استطاعوا أن يكشفونى ؟!

هز العميد (حرب) كتفيه مجيبًا كأنه يجارى طفلاً مشاكسًا :

(*) التفاصيل فى رواية (عملية الموت الأسود) ، العدد (٨٦) ..

- لابد أن لديهم وسائلهم ، إنهم عابثون ، أى أن الحصول على المعلومات لا يعد مشكلة كبرى بالنسبة لهم ..

هتف (عمر) فى حماسة أفقدته هدوءه واتزانه :

- ربما تغدو إجابة كهذه مناسبة لو أننا نسينا أو تناسينا عمدًا العضو السادس فى عصابة الخمسة ، الضمير الغائب الحاضر الذى أدار اللعبة من خلف الستار كأنه لاعب (ماريونيت) ماهر يلهو بخيوط دماه كيف شاء ..

بعد رشفة من كوب الشاى سأله العميد (حرب) :

- (الإمبراطور) ؟!

- تمامًا يا سيدى .. ولو تتبعنا الخيط الذهبى الذى نملكه فسوف ....

قاطعه العميد سائلاً من جديد :

- تقصد استجواب الأعضاء الخمسة ؟!

هازًا رأسه نفيًا قال (عمر) وحماسته تزداد اشتعالاً :

- لن يكون هذا مجديًا يا سيادة العميد .. إنما أعنى المخزن الذى كنتُ أسيرًا فيه ، واليخت (السامبان) الذى عقد فيه الأعضاء اجتماعاتهم طوال فترة إقامتهم فى (هونج كونج) ، ولو استطعنا أن نعرف المالك ، فربما يدلنا هذا على هوية (الإمبراطور) بطريقة أو بأخرى !

سأله العميد فجأة :

- ثم ماذا يا (عمر) ؟!

لم يتوقع (عمر) السؤال فظل صامتًا ، وفسر العميد (حرب) سؤاله بعدها بلحظات :

- هب أننا نعرف من يكون (الإمبراطور) بالفعل .. فماذا بوسعنا أن نفعل ؟!

هز (عمر) كتفيه ، وهو يقول فى حرص على ألا تخرج كلماته عن حدود معانيها :

- سيمكننا أن نتلافى حدوث أى أخطار قادمة ربما فاق مداها (الموت الأسود) نفسه يا سيدى ..

- (الموت الأسود) لم يكن موجهًا نحونا بالتحديد يا (عمر) ، دورنا فى هذه العملية التخريبية لم يتعد مرحلة (فأر التجارب) ، أراد العابثون بلا حدود ، فقط أن يمتحنوا قدرة قنبلتهم المنطقية فى بقعة من العالم لا تلفت الأنظار مثل (مصر) .. هذا كل ما هناك ..

- ومن أدرانا أن (الإمبراطور) سيقف عند هذا الحد ؟ ألا يحتمل أن يعاود الكرّة ويشن علينا هجومًا آخر من نوع مختلف ؟!

- محض احتمالات .. مخاوف غير مبررة ولا تستند إلى أدلة ..

عقد (عمر) حاجبيه أكثر وهو يقول فى عناد :

- وهل من المفترض أن تقع كارثة حتى يكون هناك دليل ؟!

صمت العميد (منصور حرب) ولم ينطق بحرف ، بينما أحس (عمر) بما حوته لهجته من فظاظة ورعونة لا تتناسبان مع موقعه كتلميذ يخاطب أستاذه ، فتلعثمت الكلمات بين شفتيه وهو يقول محاولاً إصلاح ما أفسده لسانه :

- أعنى يا سيدى أن الخطر هذه المرة ربما لا يتجاوز مسألة معاودة الهجوم ، إننا نجهل كل شىء عن (الإمبراطور) وقدراته وحقيقة نواياه ، وقد كشفت لنا أجهزة المراقبة المتطورة أنه هو من استطاع كشف هويتى أمام رهط الصبية الذين يقوم بتمويلهم ، كيف ؟ هنا يكمن السؤال ..

وأردف بلهجة حملت فى طياتها كل خوفه من المستقبل :

- والخطر !

- أخبرتك أن الحصول على المعلومات عبر فضاء (السايير) ليس مشكلة ضخمة بالنسبة لهؤلاء ..

- لكن (الإمبراطور) استطاع فعلها دون الاستعانة بخبرات فريقه فى العبث والقرصنة والاختراق ، مما يضعنا أمام واحد من ثلاثة احتمالات ..

ورفع ثلاثة من أصابع يده اليمنى أخذ يطويها واحدًا تلو الآخر :

- أولاً أن يكون (الإمبراطور) مموّلاً لمجموعة أخرى أو لعدة مجموعات أخرى ، وهذا ما يجعل خطره - بالنسبة لنا وللآخرين - مضاعفًا مئات المرات ، ثانيًا أن يكون (الإمبراطور) ذا قدرات لا حدود لها فى مجال العبث الإلكترونى ، وهو احتمال واهٍ ، إذ أشك فى قدرة أى عابث منفرد - مهما كان عبقريًا - على اختراق أنظمتنا المنيعة وحده ، وهنا يأتى الاحتمال الثالث الأكثر منطقية وخطورة فى الوقت نفسه ..

وأخذ (عمر) نفسًا عميقًا قبل أن يضيف :

- أن يكون (الإمبراطور) قد استطاع اكتشاف حقيقتى عن طريق جاسوس له يعمل هنا بيننا .. فى المكتب (١٧) !

واتسعت عينا العميد (منصور حرب) على الرغم منه !

* * *

- وعدنى بإعادة النظر فى الموضوع ، وبعرضه على اللواء (عفت) نفسه لو تطلب الأمر !

قالها (عمر) وهو يجلس إلى جوار (دينا واصف) التى انهمكت فى متابعة شاشة الحاسب الآلى أمامها بينما أصابعها تعدو فوق لوحة المفاتيح ، وبمجرد أن أنهى (عمر) تنهيدة التعب الوهمى لتبدأ أصابعه فى عزف إيقاع ركض الخيول فوق المنضدة ، مطت شفتيها المطليتين باللون القرمزى فى امتعاض ، ورفعت إصبعها السبابة لتضبط وضع منظارها الأنيق فوق أنفها وهى تقول :

- هذا ما توقعته !

زفر (عمر) فى ضيق ثم قال :

- على الأقل اقتنع بوجهة نظرى ..

قالت فى مسحة تهكمية لم تخف عليه :

- ومن أدراك ؟! أليس من المحتمل أنه أراد إرضاءك ببعض الكلمات الطيبة ؟!

هتف بها منفعلاً :

- وهل أنا طفل حتى يستخدم معى هذه الطريقة ؟!

هزت كتفيها ثم قالت بلهجة ذات مغزى :

- لم أقصد هذا ، ولكن ....

لكنها زادت استفزازه أكثر بصمتها هذا ، مما جعله يهتف بعصبية :

- ولكن ماذا ؟!

- الجميع هنا فى المكتب يعلمون بأمر تلك العلاقة (الخاصة) بينكما ، وإن كانت الغالبية تجهل طبيعتها على وجه التحديد ..

هتف مجددًا وقد بلغ به الانفعال نقطة الذروة :

- كل ما تربطنى به هى علاقة الأستاذ بتلميذه ، الود والاحترام المتبادل والرعاية التى يحيطنى بها ، كل هذا لا يستحق أن يطلق عليه (علاقة خاصة) !

قالت دون أن تلقى بالاً لحدته بنفس نبرتها المحايدة :

- أعنى أنه - كما يلاحظ الجميع - يوجه نحوك أنت بالذات نوعًا من الاهتمام الزائد !

هدأت حدة نبرته قليلاً وقد فهم مقصدها وقال مفسرًا :

- هذا لأنى - فى نظره - أستحق هذا الاهتمام ، المسألة هى المجهود والبذل والعرق والإصرار ، والأهم حب ما أفعل ، وأنا أعشق عملى فعلاً ، ولهذا أكدس له كل جهدى وطاقتى ، ولا أعتقد أن للأمر أية اعتبارات أخرى ..

التفتت نحوه بوجهها ذى الملامح الرقيقة الثابتة دون أدنى انفعال ، ورأى (عمر) انعكاس صورته على زجاج منظارها وهى تسأله :

- هل تظن هذا حقًّا ؟!

صمت هنيهة ذاهلاً ، قبل أن يسألها بدوره فى استنكار :

- ماذا تقصدين باللّه عليك ؟!

- لا عليك .. لنعد إلى ما كنا نتحدث فيه ..

قالتها وهى تعاود النظر إلى الشاشة لتتبدل صورة (عمر) فوق زجاج منظارها بانعكاسٍ بيانات الشاشة ، فتجاهل (عمر) الأمر - الذى يعكر صفو مزاجه كلما ذكره به أحد - وتنهد فى عمق حار ، ثم سأل (دينا) محاولاً السيطرة على القلق الصائل والجائل بين ضلوعه :

- هل تعتقدين أنهم سوف يهتمون ويقدرون الخطر حق تقديره ؟!

تنهدت بدورها تنهيدة قصيرة وهى تقول :

- المهم أن يفعلوا ذلك فى الوقت المناسب ..

قطب (عمر) حاجبيه وهم بسؤالها عما تعنى ، لكنها قطبت حاجبيها وهتفت فى استنكار ودهشة أسكتاه :

- ما هذا ؟!

نظر بحركة لا إرادية إلى الشاشة وهو يسألها فى توتر :

- ماذا حدث ؟!

أخذت تضغط زر الفأرة وهى تقول :

إن الحاسب الآلى لا يستجيب لأوامرى !

هز كتفيه وقال مهونًا :

- ربما أصابه عطل ما ، أو .... أنا لا أثق بهذه الأجهزة كثيرًا كما تعلمين !

هزت رأسها نفيًا بقوة وهى تهتف :

- كلا .. لقد أجريت اختبارًا لمكوناته الرئيسية ووحداته البرمجية منذ دقائق وكانت تعمل كما ينبغى ، كأن الـ ....

ثم إنها بترت عبارتها لتشهق فى فزع ذاهل ، مما جعل (عمر) يقول لها بتوتر أكبر :

- ماذا دهاك ؟! كأنك قد شاهدت (دراكيولا) بنفسه !

أشارت بسبابة مرتجفة إلى الشاشة وهى تهتف بنبرة اختنقت :

- انظر .. إن .. إنه ....

كاد حاجبا (عمر) أن يتبادلا مواقعهما فوق عينيه من فرط الانعقاد وهو يحدق فى الشاشة سائلاً فى وجل :

- أهو (فيروس) من نوع متطور أم .... ؟!

عادت تهز رأسها نافية فى قوة وهى تواصل هتافها الشبيه بحشرجة الاحتضار :

- كلا .. كلا .. إنه .. إنه ..

ـ إنه ماذا ؟!

ـ إنه (حصان طروادة) !

لم يفهم (عمر) معنى المصطلح على وجه التحديد ، لكنه عاود التحديق فى الشاشة التى أخذت تعلوها بقع سوداء ورمادية وزرقاء لتغطى على البيانات المرتسمة فوقها ، وقد أدرك بحدسه معنى ما يجرى ..

بكل بساطة ، هم لم يقدروا حجم الخطر فى الوقت المناسب ..

وبكل بساطة ، تحولت المخاوف غير المبررة إلى حقائق مفزعة ..

أو حقائق هى الفزع ذاته !

* * *

٢ ـ هجوم ..

رفع اللواء (عفت حفنى) سماعة الهاتف المستكين فوق مكتبه البيضاوى ليخترق أذنه هتاف عالى النبرة حاد الانفعال :

ـ سيادة اللواء .. إن .....

قاطع اللواء (عفت) المتحدث بصرامة :

ـ سيد (مؤنس) ؟! انتظرنى لحظة من فضلك ..

ـ لكن يا سيدى ....

ضغط اللواء (عفت) زر (إرجاء) ثم نظر إلى العميد (منصور حرب) الجالس أمام مكتبه فى ترقب ، ليقول فى حسم :

ـ أنت تعلم أن هذا خارج نطاق اختصاصنا ، عميد (حرب) ..

قال العميد (حرب) فى كياسة :

- هذا صحيح يا سيدى لو اقتصرنا على النظر من وجهة البحث عن (الإمبراطور) فقط ، لكنى أتحدث من منظور وجود شخص هنا فى الإدارة يعمل لصالحه !

قال اللواء (حفنى) فى استبعاد :

- أنا أرفض هذه النظرية يا سيادة العميد ، أنت تعلم كيف نختار رجالنا ..

- أعلم يا سيدى ، لكنها نظرية واردة طبقًا لما تفرضه قوانين الاحتمالات ..

- وماذا تريد منا أن نفعل ؟! نستجوب كل العاملين فى الإدارة الذين يربو عددهم على الثلاثة آلاف فرد بمن فيهم أنا وأنت طبقًا لقوانين الاحتمالات ؟! حتى لو استطعنا فعل ذلك ، فمن سيقوم به مادمنا جميعًا تحت مستوى الشبهات ؟!

- ربما كان هناك خيار أخف وطأة وأكثر معقولية يا سيدى ..

- أسرع بقوله ، فالسيد (مؤنس كامل) رئيس قسم (العلوم والتكنولوجيا) ينتظرنى بنفاد صبر على (الإرجاء) ..

- إبقاء ملف العملية مفتوحًا ، وعدم إغلاقه حتى نجد رأس الأفعى ، (الإمبراطور) ، إن هذا يا سيادة اللواء قد يمكننا من ....

قاطعه اللواء (عفت) فى انزعاج وضيق بال :

- مرة أخرى أقول لك يا سيادة العميد إن هذا ليس من اختصاصنا ، وإنما هو صميم اختصاص رجال (الاتحاد العالمى لمكافحة جرائم الحاسب الآلى) ، لو عملنا منفردين فقد يوقعنا هذا فى مشاكل لا حصر لها معهم ، وأخشى ما أخشاه أن يكون فى تدخلنا تعطيلٌ أو إعاقة لهم عما هم بصدد التوصل إليه بالفعل ..

- إنهم لم يستطيعوا التوصل لأعضاء منظمة (عابثون بلا حدود) ومواجهة (الموت الأسود) بنجاح كما فعلنا يا سيدى !

هتف اللواء (حفنى) وقد ضاق بالنقاش ذرعًا :

- وقد انتهى عملنا بزوال خطر (الموت الأسود) يا سيادة العميد ..

- لكن يا سيدى ، إن الخطر لم يز....

- كفانا جدلاً عقيمًا ، عميد (حرب) ، ولنغلق هذا الموضوع إلى أجل غير مسمى لنباشر ما أمامنا من أعمال ..

انتصب العميد (حرب) واقفًا وهو يقول فى ثبات عسكرى أخفى خلفه مشاعره :

- كما تأمر يا سيادة اللواء ..

واستدار على عقبيه منصرفًا ، ولمجرد أن أغلق الباب خلفه ضغط اللواء (عفت) زر (الإرجاء) مرة أخرى ..

- نعم يا سيد (مؤنس) ..

لكن أحدًا لم يرد ..

- سيد (مؤنس) ..

الصمت التام من الناحية الأخرى ..

- سيد (مؤنس) .. هل مازلت معى على الخط ؟

ولما تأكد من عدم وجوده ضغط زر إغلاق الخط وهو يغمغم فى استغراب :

- يا لهؤلاء العلماء الغريبى الأطوار !!

ثم أردف هازًا رأسه يمنة ويسرة :

- حتى رئيس قسم (العلوم والتكنولوجيا) بـ (المكتب ١٧) لا يتحلى بالصبر ، كان الله فى عون الشباب الغض إذن !

وحانت منه التفاتة إلى شاشة الحاسب الآلى الضخم الموضوع فوق منضدة خاصة على يساره ليطالع فوقها بعض البيانات المهمة ، وإذ فعل ، انعقد حاجباه بشدة وغمغم فى تساؤل ممزوج بالريبة :

- يا إلهى .. ما هذا ؟!

وفوق الشاشة ، أخذت تلك البقع فى التزايد ملقية بانعكاسها على زجاج منظاره ..

بقع سوداء ورمادية وزرقاء !

* * *

بخطوات سريعة وقناع جامد أخفى خلفه بركانًا من المشاعر الجامحة أسرع العميد (منصور حرب) بقطع ممرات وأروقة الإدارة ، حتى بلغ باب مكتبه

ليجد أمامه (عمر زهران) و (دينا واصف) فى انتظاره ..

- سيادة العميد .. لقد ....

بادره (عمر) بالهتاف فقاطعه العميد بإشارة من كفه قائلاً بضيق :

- انتهى ، نقيب (عمر) .. لقد تم إغلاق ملف العملية حتى إشعار آخر ..

- لكن يا سيادة العميد ....

زفر العميد (حرب) وهو يفتح باب غرفته ويقول فى حنق :

- هذا ليس قرارى ، إنها أوامر عليا !

هتف (عمر) يستوقفه قبل أن يدلف إلى الحجرة ويغلق بابها فى وجهيهما :

- لقد حدث ما كنا نخشاه يا سيدى ..

توقف الباب فى منتصف رحلة إغلاقه ليسأل العميد (حرب) متعجبًا :

- ماذا تقول ، نقيب (عمر) ؟! حدث ماذا ؟!

- نعم .. إننا نتعرض لهجوم إلكترونى بالفعل يا سيادة العميد ..

قالتها (دينا) فى شىء من التردد المتوجس ، فنقل العميد بصره بين (عمر) وبينها ليسأل بعد هنيهة فى خشونة :

- هل تجدانه وقتًا ملائمًا للمزاح ؟! لقد كنت عند اللواء (عفت) منذ دقائق ولم نلاحظ شيئًا غير عادى ..

هزت (دينا) كتفيها وقالت مستعيدة جرأتها كلها مرة واحدة :

- تستطيع التأكد بنفسك يا سيدى !

التفت العميد (حرب) برقبته نحو حاسبه الآلى القابع فوق مكتبه ، واستطاع أن يرى عبر انعكاس صورة الشاشة على المرآة القائمة خلف مقعد المكتب تلك البقع المتزايدة فوقها ، ذات الألوان الثلاثة ..

الأسود .. الرمادى .. الأزرق ..

- ما الذى يحدث ؟!

تمتم بها العميد (حرب) فى نبرة خافتة لم يسمعها أى منهما ، لكن (دينا) قالت :

- إنه (حصان طروادة) يا سيدى !

نظر فى وجهها بعينيه الحادتين سائلاً فى استفهام :

- (حصان طروادة) ؟!

استطردت وهى تهز رأسها بالإيجاب :

- أجل يا سيدى .. نوع من البرامج التدميرية لأنظمة الحواسب الآلية لا يقل خطورة عن (الفيروسات) و(القنابل المنطقية) ، غير أنه يختلف عن الأولى فى عدم قدرته على التناسخ والتحور ، وعن الثانية فى طريقة دخوله للنظام ..

ثم إنها تابعت مستخدمة كلتا يديها فى التعبير لتوضيح الصورة أكثر :

- أخالك لا تجهل أن (حصان طروادة) كان هو الوسيلة الخداعية التى استخدمها الإغريق فى

اقتحام مدينة (طروادة) بعد حرب طالت . لقد صنع الإغريق حصانًا ضخمًا من الخشب حتى يهدوه للطرواديين الذين انطلت عليهم الخدعة ، وسمحوا بدخول الحصان عبر أسوار المدينة المنيعة ، دون أن يفطنوا إلى أن الجنود الإغريق يختبئون داخل تجويف الحصان الخشبى ذى الهيئة البريئة ، وهكذا سقطت (طروادة) وربح الإغريق الحرب ، وتبوأ (هوميروس) مكانته المرموقة فى تاريخ الأدب ، إذ خلد الحرب شعرًا فى ملحمتيه (الإليـاذة) و(الأودسية)[*] ..

وابتلعت ريقها ثم أكملت :

- بنفس الطريقة تستطيع (أحصنة طروادة) فى عصر فضاء (السايبر) أن تخترق الأنظمة الصناعية للشبكات والأجهزة ، تنساب عبر الرسائل الإلكترونية أو الملفات المتبادلة أو البرامج المحملة على الأقراص المرنة أو المدمجة عبر ما يسمى بـ (القطارة Dropper) التى تحقن البرنامج فى النظام كما تحقن البعوضة جرثومة (الملاريا)

(*) حقائق تاريخية تعود إلى ما بين عامى (١٥٠٠) و(١٢٠٠) ق . م ..

فى جسم الإنسان ، وبعدها يتبوأ البرنامج موقعه فى ذاكرة الجهاز ، ويبدأ فى عملياته التخريبية من مسح للملفات وإتلاف للوحدات الأساسية وأشكال متكررة لا معنى لها ترتسم فوق الشاشة كهذه الدوائر ذات الألوان القاتمة التى تكرر نفسها إلى ما لا نهاية !

أنهت محاضرتها المختصرة وأخذت تلهث من فرط سرعتها الانفعالية فى الحديث ، وبسرعة تمالك العميد (حرب) نفسه وهتف فى سخط :

ـ وهل فشلت أنظمتنا الدفاعية فى صد هذا الهجوم ؟!

عض (عمر) شفتيه وهو يقول فى ندم آسف :

ـ يبدو هذا يا سيادة العميد !

وأسرعت (دينا) تصحح له :

ـ لا أحد يستطيع الجزم الآن بكيفية تسلل (حصان طروادة) إلى أنظمتنا ربما عن طريق الشبكة أو ....

وصمتت كأنها وجدت حرجًا فى استكمال حديثها ، فأكمل العميد (حرب) لها :

ـ أو أن أحدًا قد دسه ، عنصر بشرى تقصدين ، أليس كذلك ؟!

لم تنطق بشىء وظلت صامتة تراقب التوتر الذى اعترى النظرة المتبادلة بين (عمر) والعميد (حرب) ، ودام الصمت قليلاً حتى قطعه (عمر) بقوله :

ـ أعتقد أن (الإمبراطور) قد سعى للانتقام سريعًا يا سيادة العميد !

وقبل أن يرد العميد بشىء ، ارتفعت رنة ذات نغمة تتابعية مميزة من فوق مكتبه بالداخل ، فزفر بحرارة لفحت وجهيهما وقال :

ـ هذا استدعاء اللواء (عفت) لى ، يبدو أن (حصان طروادة) هذا سريع الانتشار بالفعل .

ثم إنه سأل فى اهتمام لم يخل من توتر حانق :

ـ وماذا بوسعنا أن نفعل ؟!

هم (عمر) بقول شىء لكن (دينا) سبقته قائلة :

ـ لقد أصاب التلف كل الأجهزة التى نعمل عليها فى قسم التكنولوجيا .. وليس ....

قاطعها العميد (حرب) سائلاً كأنه قد تذكر أمرًا غائبًا عن ذهنه :

ـ وماذا عن خالك ؟! أعنى السيد (مؤنس كامل) ؟! أليس هو رئيس القسم ؟!

رفع (عمر) حاجبيه فى دهشة وهو يسأل (دينا) :

ـ أهو خالك ؟! السيد (مؤنس) ؟!

لم يعر أحد منهما التفاتًا لاندهاشه فى الوقت غير المناسب بطبيعة الحال ، وقالت (دينا) مجيبة عن سؤال العميد ـ أو أسئلته :

ـ لا أدرى يا سيدى .. لقد أتيت إليك رأسًا بعد اكتشافى للخطر ..

ثم إنها استأنفت :

ـ لكنى سأتوجه إليه الآن ، أعتقد أنه بإمكاننا تقدير حجم الخطر ومصدره ومضاعفاته إذا استخدمنا جهازًا آليًا موصلاً بشبكة (وزارة الخارجية) أو (المخابرات العامة) أو (رياسة الجمهورية) ، سيمكننا هذا من ....

قاطعها هتاف آت من نهاية الممر هذه المرة ..

ـ سيادة العميد .. النجدة .. اطلب الإسعاف فورًا !

التفتت رءوس الثلاثة نحو مصدر الصوت ، حيث اقترب منهم بخطوات مهرولة شاب نحيف كث الشارب ، وقد تجلت أمارات الفزع والاضطراب على سحنته ..

ـ (نادر الشريف) ، ما الذى حدث ؟!

غمغم بها (عمر) لنفسه فى صوت خفيض ، بينما تصاعدت دقات قلب (دينا) حتى كادت تصم آذانها ، وهتف العميد (حرب) فى رصانته الصارمة :

ـ ماذا هناك ؟!

توقف (نادر) على مقربة منهم لاهثًا ، وحاول السيطرة على اضطراب حديثه وهو يقول :

ـ كـ .. كـ .. كارثة !

سأله (عمر) وقد هاله مرأى صديقه على هذه الحال :



التفتت رءوس الثلاثة نحو مصدر الصوت ، حيث اقترب منهم بخطوات مهرولة شاب نحيف كث الشارب ، وقد تجلت أمارات الفزع والاضطراب على سحنته ..

ـ ماذا حدث يا (نادر) ؟! لو كنت تقصد ما حدث بأجهزة الحواسب الآلية فنحن نعـ....

نفض (نادر) رأسه فى قوة وهو يقول زاعقًا :

ـ كلا .. كلا .. ولكن .. السيد (مؤ.. مؤ..) !

سأله العميد (حرب) :

ـ (مؤنس كامل) ؟! ما به ؟!

وشهقت (دينا) هاتفة فى ذعر :

ـ خالى !

ـ لقد .. وجد..ته .. فى غر..فة مكـ..تبه .. غارقًا فى .. دمائه !

وإذ دوت صرخة (دينا) الملتاعة فى أنحاء مبنى المكتب (١٧) بأسره ، تبادل العميد (حرب) و(عمر زهران) نظرة أخرى ..

نعم ..

لم يعد هناك شك فى وجود دسيسة .. خيانة .. جاسوس بين رجال المكتب (١٧) ..

وانطلق الجميع نحو غرفة السيد (مؤنس كامل) ركضًا !

★ ★ ★



٣ ـ عملية ..

أوقف (عمر زهران) سيارته الزرقاء المكشوفة ، ناظرًا نحو الساعة الرقمية أعلى ناقل السرعات التى أشارت للتاسعة إلا بضع دقائق مساءً ، ثم رفع بصره نحو اللافتة الكبيرة المضاءة بالنيون والمخطوط فوقها بحروف بارزة (مستشفى النيل التخصصى) قبل أن يغادر مقعده قفزًا ـ كما اعتاد دائمًا ـ ويتجه نحو المدخل فى خطوات واسعة ..

وبنفس الخطوات الواسعة أخذ يقطع دهاليز المستشفى نحو هدف محدد ، وعندما انفتح المصعد الذى أشارت لوحته الرقمية العلوية إلى الطابق الخامس ، وجد نفسه فى مواجهة الهدف تمامًا ، إذ رأى (دينا واصف) تقف ـ معطية ظهرها له ـ أمام واجهة زجاجية كبيرة تطل على إحدى الغرف الداخلية ، وقد أخذت تضرب كفيها خلف ظهرها فى حركة عصبية متوترة ..

اقترب منها فى هدوء ، وتنحنح قبل أن يقول :

ـ مساء الخير !

نظرت نحوه بعينين محمرتين من فرط البكاء والإجهاد قائلة :

ـ أهلاً يا سيادة النقيب ..

وجّه بصره نحو الواجهة الزجاجية التى كشفت عن سرير متوسط الحجم يستلقى فوقه السيد (مؤنس كامل) فى حالة بائسة ، وقد وصلت عشرات الأنابيب والخراطيم إلى ذراعيه وقدميه ، كل منها ينتهى عند الطرف الآخر إما بمحلول معلق أو بجهاز من أجهزة القياسات والمتابعة الكثيرة المتناثرة فى أنحاء الغرفة ، وزادت كمامة التنفس الصناعى فوق وجهه من بؤس الحالة ، وبجوار السرير جلست امرأة تشير ملامحها إلى أواسط الخمسينات وقد أسندت خدها إلى قبضتها ، مطرقة فى شجن ذاهل ..

ـ لعله قد تجاوز مرحلة الخطر ..

قالها (عمر) وقد اعتصر الأسى قلبه ، فتنهدت (دينا) وقالت كأنها تجاهد للحديث :

- الحمد لله .. لحسن الحظ جاءت الرصاصة فى الجانب الأيمن من صدره ، لكنه نزف كثيرًا واستلزم الأمر عدة جراحات عاجلة لاستخراج الرصاصة واستئصال أنسجة الرئة التالفة ..

نظر (عمر) إلى وجهها الذابل قائلاً :

- لقد نشأ عن الحادث هزة كبيرة فى أروقة الإدارة ، أعتقد أنه لم يعد هناك ذرة شك فى وجود عميل لـ (الإمبراطور) بين صفوفنا ..

قالت (دينا) وقد ارتسم فوق شفتيها شبح ابتسامة تهكم :

- تأخرت الهزة كثيرًا ، وكادت تؤدى بحياة برىء !

تنهد قائلاً وهو يستند براحته إلى إفريز الحاجز الزجاجى :

- قدر الله وما شاء فعل ..

هزت رأسها وأغمضت عينيها المجهدتين مغمغمة فى عمق :

- ونعم بالله ..

وأردفت سائلة :

- وهل ينوون فعل شىء محدد ؟!

- أعتقد أنهم بصدد التوصل لقرار ما على ضوء ما توافر من معلومات ..

وتابع قبل أن تسأله :

- لست أعرف الكثير ، لكن الإدارة مقلوبة رأسًا على عقب منذ الصباح ، سمعت أن القيادات العليا مجتمعة منذ أكثر من خمس ساعات فى مكتب (رئيس الوزراء) شخصيًا ، وأنه تم بناء جدار نارى إلكترونى محكم حول شبكة المكتب (١٧) حتى يتم حصر الضرر بداخلها ، وعبر شبكة (وزارة الخارجية) الأكثر تطورًا بعد شبكتنا يعمل فريق من الخبراء لتحليل الخطر وإيجاد سبيل لمقاومته والحد من انتشاره ، ومنع أى محاولة منه

للتسلل إلى خارج نظام الإدارة ، لكن النتائج لم تحسم بعد .. هذا بالنسبة لـ (حصان طروادة) ، أما بالنسبة لحادث خالك الأليم ، فقد جئت قبل أن ينتهى التحقيق مع (نادر الشريف) و(فؤاد إمام) اللذين اكتشفاه !

- لو انتظرت قليلاً لكان بإمكانى أن آتى معك !

التفت (عمر) و(دينا) إلى مصدر الصوت من خلفهما ، ليريا (نادر) يقترب منهما من جهة المصعد ، والإرهاق قد زاد من نحول جسده أو هكذا هيّئ لهما على الأقل ..

- كيف حال السيد(مؤنس) الآن ؟!

أجابته (دينا) على مضض :

- يحاول أن يعيش !

سأله (عمر) على الفور :

- وكيف حال التحقيق يا صديقى ؟!

هز (نادر) كتفيه قائلاً بنبرته الجهورية التى لم يفلح الإرهاق أو وجوده فى مستشفى زاخر بالمرضى فى خفضها :

- لا أعلم .. لقد أخبرتهم بكل ما لدى ..

واستطرد عندما لمح نظرة التساؤل الملح فى العيون الأربع :

- بمنتهى البساطة كنت أسير مع الملازم (فؤاد إمام) فى طريقنا إلى قاعة محاضرات قسم (العلوم والتكنولوجيا رقم (٤) ، وبينما كنا نعبر أمام غرفة رئيس القسم ، السيد (مؤنس) شفاه اللّه ، وجدنا الباب مواربًا ورائحة الدم تنبعث من الداخل ، فما كان منى - برغم اعتراض (فؤاد) - إلا أن فتحت الباب لأجد الرجل ملقى على وجهه فوق مكتبه والدماء تغرق صدره ورقبته ، والأوراق والأدوات المتناثرة فوق سطح المكتب ، كما وجدت سماعة الهاتف ملقاه فوق الأرض كأنه كان يتحدث فى الهاتف قبل تعرضه للهجوم ، فزعت من المنظر بطبيعة الحال لكنى استجمعت شجاعتى واستعدت توازنى بسرعة ، وكان أفضل ما فى الأمر أن وجدت الرجل ما يزال حيًا بقلب نابض فأسرعت إليكم طالبًا الغوث ، و.... أنتما تعرفان الباقى !

سأله (عمر) فى اهتمام وجدية :

- ألم يلفت نظرك وجود شىء ما ؟! أو شخص ما ؟!

ابتسم (نادر) نصف ابتسامة منهكة وهو يجيب بقوله :

- تصلح محققًا ممتازًا يا صديقى ، لقد وجهوا لى هذا السؤال أكثر من عشرين مرة بطرق مختلفة ، وكانت إجابتى فى كل مرة واحدة : لم تكن الظروف وقتها تسمح بأى ترف من هذا النوع !

التفتت (دينا) لتنظر نحو جسد خالها المسجى فوق السرير بلا حراك ، وترقرقت فى مقلتيها الدموع وهى تغمغم :

- أى أن حياة خالى قد تذهب هباءً دون ذنب اقترفه ، ودون حتى أن نعرف الجانى !

سألها (عمر) مستنكرًا :

- من قال هذا ؟ العملية لم تنته بعد ، لقد بدأت فقط ..

وأتبعه (نادر) قائلاً فى صدق :

- نعم .. لن نترك وغدًا حقيرًا يقتحمنا فى عقر دارنا ويعبث بأنظمتنا ورجالنا هكذا دون أن نفعل شيئًا ..

- هل فى وسعنا فعل شىء ؟!

سألت فى يأس ، فقال (عمر) فى حماسة :

- بالتأكيد .. ما هى إلا مسألة وقت فحسب حتى ....

قطع حديثه نغمة عالية مميزة لجهاز هاتف محمول ، وأسرعت (دينا) نحو حقيبتها القابعة فوق مقعد قريب مخرجة منها جهازها ، وإذ نظرت إلى شاشته الصغيرة ضغطت زرًا على الفور وهى تقول لنفسها :

- إنها رسالة قصيرة .. ترى ممن ؟!

وأسرعت تفضها فى سرعة ، وما إن فعلت حتى التفتت مجددًا موجهة حديثها نحو (عمر) :

- إنه استدعاء لنا .. (الصقر العجوز) يريدنى أنا وأنت .. الآن !

سألها (عمر) مقطبًا :

ـ ولماذا لم يرسـل لنا عبر أجهـزة الاسـتدعاء الخاصة ؟!

قالت وهى تعيد الجهاز إلى الحقيبة :

ـ لابد أن (حصـان طروادة) قد بدأ فى مهاجمـة هذه الأنظمة أيضًا !

ـ وأين سنقابله ؟! فى مكتبه كالمعتاد ؟!

ـ كلا .. فى مقر (رئاسة مجلس الوزراء) ..

تدخل (نادر) بقوله :

ـ لا بد أن الاجتماع قد انتهى إذن ..

ـ من يدرى ؟!

قالتها (دينـا) وهـى تضـع الحقيبـة علـى كتفهـا وتتأهب للذهـاب ، فقال (عمـر) موجهًا الحديـث لـ (نادر) :

ـ بإذنك يا صديقى ..

ـ أوصلنى فى طريقك للمنزل .. ولكن ....

ووجه حديثه لـ (دينا) سائلاً :

ـ أهذه المرأة بالداخل هى والدتك يا آنسة (دينا) ؟!

فوجئا بها تسأله فى ضيق :

ـ ولماذا تسأل ؟!

برغم ما يشعر به من حرج رهيب قـال (نـادر) فى بسمة مرتبكة :

ـ تقضى قواعد البروتوكول أن أصافحها لو كانت هى !

ـ كلا إنها زوجة خالى ..

ثم أردفت مغمغمة فى ألم :

ـ وكل ما أرجوه أن تعرف أمى بما حل بشقيقها قبل أن يتماثل للشفاء ، أو ....

لـم تستطع أن تكمـل ، وأشـاحت بوجههـا عنهمـا كمن يدارى دمعة فرت دون سـابق إنـذار ، بـل إنهـا أسرعت تحث الخطى نحو المصعـد كمـن يهرب مـن شىء ما ..

تبعها (نادر) دون أن يفهم عقله المكدود شيئًا ، وتسمر (عمر) فى مكانه للحظة محدقًا فى (دينا) المبتعدة كأنه يراها لأول مرة ..

لقد أدرك بكل بساطة أن (دينا) ليست كتلة من الحجر كما تظهر للعيان ، إن مظهرها هكذا لهو نوع آخر من الهروب ..

هروب من شىء ما ..

أو من ذكرى ما ..

أو .. من جرح ما !

* * *

دقت ساعة الحائط وعقاربها تشير إلى الحادية عشرة مساءً ، داخل الغرفة الصغيرة بمبنى (رئاسة الوزراء) التى جلس فيها (عمر) متململاً تدق أصابعه إيقاع ركض الخيول المعهود فوق المنضدة الوحيدة فى طرفها ، بينما انهمكت (دينا) حتى النخاع فى العمل على حاسب آلى نقال موصل بـ (الإنترنت) عبر هاتفها المحمول ..

وبمجرد انتهاء الدقات ، سألها (عمر) حاسمًا تردده وقد ضاق بالصمت المخيم بينهما :

ـ إننا ننتظر منذ أكثر من ساعة ونصف .. أليس كذلك ؟!

لم ترد ، هى إما منهمكة فى ما تعمل لدرجة أنها لم تسمعه ، أو سمعته ولم تلق بالاً لملحوظته عديمة القيمة ، وهو الاختيار الأسوأ طبعًا !

ـ أليس وقتًا طويلاً ؟!

ـ بلى ..

إنها تسمعه ، لم يبق إلا الاختيار الأسوأ إذن !

ـ بالنسبة لى هذا لا يمثل مشكلة ، ولكن أنتِ .. ألا يعد هذا وقتًا متأخرًا نوعًا ـ واعذرينى للسؤال ـ لبقائك خارج المنزل ؟!

قالت بجمودها الذى لا يتغير :

ـ الوحيد الذى كان من الممكن أن يهتم بأمر كهذا محجوز تحت الملاحظة الطبية المستمرة فى الوقت الراهن ..

سألها مجددًا باهتمام حقيقى :

ـ لماذا ؟! أليس لديك أسرة ؟! أب وأم وإخوة و.... ؟!

شعر بأنه قد يكون فى ما يسأل تجاوزًا للحدود فلم يزد ، وانتظر أى إجابة ، ولكن الباب الذى انفتح لحظتها بغتة ليدلف من خلاله العميد (منصور حرب) أنهى الحوار ، ولم يعرف (عمر) أبدًا بعدها أى نوع من الإجابات كان سيتلقى !

ـ معذرة للتأخير .. أنتما خير من يعرف الموقف الدقيق الذى نحن فيه ..

كان الاثنان قد نهضا بمجرد دخوله على سبيل الاحترام ، فأشار لهما بيده أن يجلسا ، واتخذ هو المقعد الثالث بينهما على المنضدة واضعًا أمامه ملفًّا زاخرًا بالأوراق ..

ـ إنه يوم عصيب بحق ، وها نحن أولاء نضطر للعودة إلى استخدام الوثائق الورقية والأقلام بعد أن ظننا ألا رجعة إليها البتة !

قال (عمر) محاولاً تلطيف الجو القاتم :

ـ أنت تعلم يا سيدى كم أفضل هذه الوسائل القديمة ـ التى يسمونها (بدائية) !

وسألت (دينا) فى جدية :

ـ هل انتهى الاجتماع أخيرًا يا سيدى ؟!

ـ لن ينتهى قبل انتهاء الأزمة ، إنه ليس اجتماعًا بالمعنى المفهوم لمناقشة أمر ما فحسب ، بل هو أشبه بـ (غرفة عمليات) نتابع من خلالها تطورات الموقف لحظة بلحظة ، ومعنا رئيس الوزراء بنفسه ، كذلك هناك خط ساخن نتصل به صوتًا وصورة مع السيد رئيس الجمهورية لإطلاعه على المستجدات ..

سأل (عمر) :

ـ وهل تحسّن الموقف يا سيادة العميد ؟!

زفر العميد (حرب) زفرة قصيرة ثم قال بعد لحظة من التفكير :

ـ فى الواقع أن لدينا أنباء جيدة وأخرى سيئة ..

ـ أفضل أن نبدأ بالجيدة أولاً ..

قالها (عمر) وهو يستنفر كل حواسه ، فاستطرد العميد (حرب) وهو يفتح الملف المستكين أمامه وقد خطت فوقه بخط النسخ كلمتان (حصان طروادة) :

- لقد توصل الخبراء التكنولوجيون الأكفاء فى الإدارة - عبر شبكة معلومات (وزارة الخارجية) - إلى ماهية البرنامج المدمر السارى فى شبكتنا ، إنه برنامج من نوع خاص تم تصميمه بدقة ومهارة لا مثيل لهما ، لحسن حظنا هو لا يقوم بإتلاف البرامج والمكونات الرئيسية المخزنة فى الأجهزة ، إنما يقوم بإحاطتها بسياج من البيانات التافهة التى تعوق وصولنا إليها ، هذه البيانات التافهة هى الدوائر ذات الألوان القاتمة التى تطالعنا فوق الشاشات ، معنى هذا أن كل البيانات الخاصة بنا فى الشبكة ما زالت سليمة لكنها بعيدة مؤقتًا عن متناول أيدينا ..

قالت (دينا) وهى تثبت منظارها فوق أنفها مستخدمة سبابتها :

- لكن مقاومة البرنامج بهذا الشكل عملية سهلة للغاية ، مجرد برنامج مضاد لإزالة هذه البيانات التافهة بعد تحليلها ..

- حاولنا أن نفعل ذلك على سبيل التجربة فى جهاز من الأجهزة المُصابة ، لكن ما إن أزلنا أول

(بت) من هذه البيانات حتى انطلق (فيروس) شرس التهم كل المخزون على الذاكرة ودمَّر وحدات التخزين شر تدمير ، ولولا أن احتطنا للأمر من البداية وقمنا بإحاطة هذا الجهاز بجدار نارى قوى على سبيل الحذر التجريبى ، لكان الفيروس قد تكاثر وانتشر عبر شبكة المكتب (١٧) فى لحظات كما تنتشر النار فى الهشيم ، ولكنا فقدنا كل شىء وأصبحت شبكتنا أطلالاً وذكرى ..

قال (عمر) مستنتجًا :

- أى أن هذا (الفيروس) ينشط فقط عند محاولة محو (حصان طروادة) أو إزالته ..

- تمامًا ، لقد أحبَطَنا هذا كثيرًا خاصة مع وصول رسالة عبر البريد السريع الدولى من (هونج كونج) تحمل توقيع (الإمبراطور) يعترف فيها بكونه المخطط والمنفذ لهذه العملية التخريبية ، ويتعهد بتقديم برنامج مضاد نتخلص به من تأثير برنامجه و(فيروسه) الضار ، ولكن بشرط واحد .. أن يتم الإفراج عن أعضاء منظمته (عابثون بلا حدود) المعتقلين فى (جنيف) بأى وسيلة كانت ..

هتف (عمر) حانقًا :

- يا للوقاحة !

وسألت (دينا) بجديتها الخالدة :

- ألا يستطيع رجال القسم التكنولوجى ابتكار مثل هذا البرنامج المضاد ؟!

- إنهم مازالوا يحاولون ، لكن هذا يعد مستحيلاً فى الوقت الحالى على الأقل ، ماداموا عاجزين عن اختراق البرنامج وتحليل بياناته ومعرفة اللغة البرمجية المستخدمة فى كتابته ، وهو ما يملكه إمبراطورنا اللعين هذا ..

سأل (عمر) :

- ألم نعرف هويته بعد يا سيدى ؟!

- كلا للأسف يا (عمر) .. مازلنا نحاول ..

قالت (دينا) فى خيبة أمل :

- أظن أن هذه الأنباء هى السيئة يا سيادة العميد ..

- كلا يا (دينا) .. ليس بعد .. فما جعلنى أتأخر عنكما قليلاً هو بزوغ بارقة أمل كنا نتحقق من وجودها فعليًّا !

وقلب عددًا من الأوراق أمامه ثم استأنف :

- لقد جاءتنا منذ ساعتين رسالة عبر البريد الإلكترونى على القائمة البريدية الخاصة بـ (وزراة الخارجية) تحمل عرضًا محددًا ببيع البرنامج المضاد لـ (حصان طروادة) الذى اخترق أنظمتنا مقابل عدة ملايين من الدولارات ..

- ومن أرسلها ؟!

- قرصان شبكات محترف اسمه المستعار (هرقل) ، وعندما أرسلنا له على العنوان المصاحب لرسالته ـ على مزود شركة (هوت ميل) الشهير ـ نطلب التأكد من مصداقية العرض ، قام بنفسه باختراق شبكتنا فى الإدارة ـ تحت أعيننا بالطبع ـ وقام بتحرير ثلاثة أجهزة أخذت تعمل بعدها بكفاءة تامة !

سألت (دينا) فى حذر :

- وهل تتبعتم مكانه يا سيدى ؟!

- بالطبع لم تفتنا نقطة بديهية كهذه يا (دينا) ، لقد تتبعناه ووجدناه يستخدم حاسبًا آليًا نقالاً موصلاً رأسًا بالأقمار الصناعية ، لكن فترة وجوده داخل شبكتنا سمحت لنا بتحديد موقع الدولة التى يتصل منها على الأقل ..

- أين ؟!

- (جامايكا)(*)، وهى نفس الدولة التى طلب أن يكون اللقاء بعد غد فيها ، مما منح الأمر مصداقية أكبر يا عزيزتى ..

- وسنقوم نحن بهذه المهمة يا سيدى ؟!

- أجل يا (عمر) .. سوف تسافران بعد ثلاث ساعات من الآن إلى (روما) ، ومنها إلى (لندن) ، ثم (جامايكا) ، ستصلان فجر الغد وتقابلان السيد (هرقل) هذا فى تمام الثانية عشرة ظهرًا عند نقطة محددة على ساحل (مونتيجو) ..

(*) جزيرة مساحتها ١٠,٩٩٠ كم^2 تقع فى البحر الكاريبى جنوب (كوبا) ، تعد عاصمتها (كنجستون) ميناءً حيويًا ومركزًا تجاريًا ، ويعد خليج (مونتيجو) مركز جذب سياحيًا فى شمالها الغربى ، لغتها الرسمية الإنجليزية الممتزجة ببعض اللهجات المحلية ..

ونظر العميد (حرب) مليًا إلى (دينا) بنظرتها الكسيرة وذهنها الشارد بعد سماعها موضوع السفر ، ثم قال :

- أما فيما يخص قضية رجلنا فما زالت التحقيقات تسير على قدم وساق ، لم يعد لدينا شك فى مسألة وجود الطابور الخامس(*) داخل مكتبنا ، وقد انتدبت (المخابرات العامة) و(وزارة الداخلية) عددًا من الضباط للتحقيق المحايد فى هذا الشأن ..

سألت (دينا) فى غضب مكبوت :

- ألا يوجد مشتبه فيهم يا سيادة العميد ؟!

- من قال هذا ؟! كل العاملين فى المكتب يمكن أن ....

قاطعته :

- (نادر الشريف) و(فؤاد إمام) مثلاً ؟!

(*) الطابور الخامس هم أنصار العدو من أهل الوطن أو المقيمين فيه ، نشأ المصطلح فى أثناء الحرب الأهلية الإسبانية عندما حاصر الوطنيون - بقيادة جنرال (فرانكو) - الجمهوريين بأربع فرق ، بينما كانت هناك فرقة خامسة تعمل فى صفوف الجمهوريين بالتجسس وإثارة الفتن ..

بهت العميد (حرب) للحظة إذ لم يتوقع ما قالته ، وهتف (عمر) متدخلاً فى دبلوماسية :

- بالنسبة للأول يا سيدى فلا شك لدى فى ولائه ، لقد كان صديقى فى القوات الجوية قبل أن نلتحق بالعمل فى (إدارة المهام الخاصة) معًا ، أما الثانى فأنا لا ....

هتفت به (دينا) وقد تأججت نيران غضبها :

- ومن طلب رأيك ؟!!

ازدرد (عمر) لعابه فى اضطراب وقد فوجئ بغضبها المتصاعد ، وواصلت هى هتافها الثائر كأنها تفرغ كل شحنة اليوم الانفعالية فى الصراخ :

- ما داما هما آخر من رأياه ، فمن أدرانا أنهما لم يرتكبا الجريمة ثم أبلغا عنها ؟! يقتلان القتيل ويمشيان فى جنازته كما يقولون ؟!

تركها العميد (حرب) تنهى كل ما تريد قوله ، ثم قال فى لين وحكمة :

- التحقيقات ما زالت فى بدايتها يا فتاتى ، وإلقاء الاتهامات جزافًا دون أدلة دامغة يعد جريمة فى حد ذاته كما تقضى القوانين ..

- تبًّا للقوانين !

- أنتِ بحاجة للهدوء والراحة ، وسأتفهم موقفك لو اعتذرت عن هذه العملية ..

قالت كأنها تعاند من أجل العناد لا غير :

- بل سأقبلها برغم أنف الجميع !

سأل (عمر) وقد أراد تغيير دفة الحديث :

- وما هى الأنباء السيئة يا سيدى بعد كل هذا ؟!

صمت العميد (حرب) هنيهة ، ثم سأل بدوره :

- هل ما زلت تذكر (عزرا أهارون) ؟!

* * *

٤ ـ بداية ..

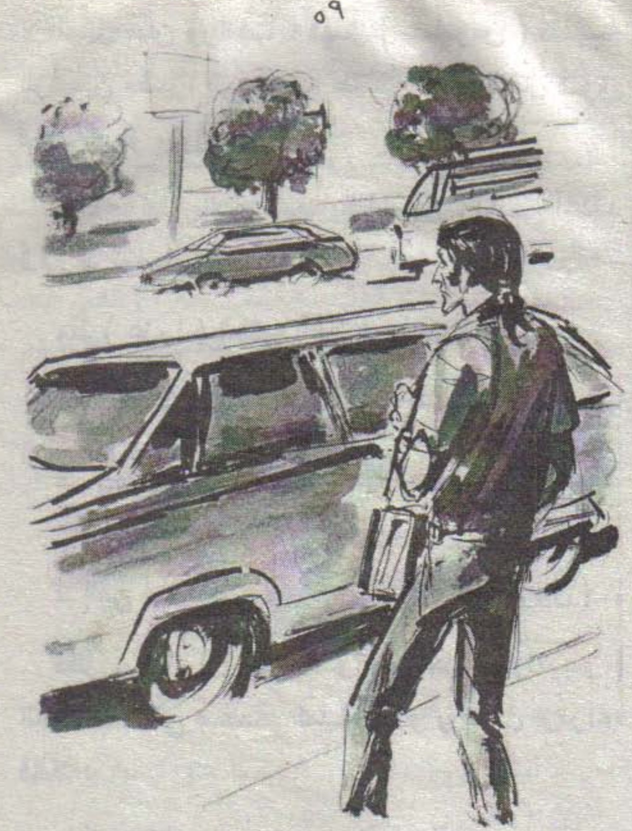
بمجرد أن خطا الرجل ذو الأنف المدبب والشفتين الرفيعتين والشعر الأسود اللامع الطويل أولى خطواته خارج مطار (مونتيجو) الدولى ، استقبلته (جامايكا) بدفعة من الهواء الساخن تنافرت مع هواء التكييف البارد بالداخل ، كأنها ترحب به على طريقتها الخاصة ..

لم تدم وقفته أمام بوابات الخروج أكثر من دقيقة ، بملابسه الصيفية والحقيبة اليدوية الصغيرة فوق كتفه ، إذ توقفت أمامه تمامًا بعدها سيارة (كاديلاك) فارهة بيضاء اللون ، تقدم نحوها بخطوات ثابتة واختفى داخلها لتخترق من فورها الشارع الرئيسى فى ليل هادئ لا ينبئ بأى أحداث غير عادية ..

ـ مرحبًا أدون (أهارون) ..

ـ هل من جديد يا عزيزى (عاموس) ؟!

سأل (عزرا أهارون) رجله خبير التقنيات والتكنولوجيا على الفور دون مقدمات أو مجاملات



لم تدم وقفته أمام بوابات الخروج أكثر من دقيقة ، بملابسه الصيفية والحقيبة اليدوية الصغيرة فوق كتفه ، إذ توقفت أمامه تماما بعدها سيارة (كاديلاك) فارهة بيضاء اللون ..

لا طائل من ورائها ، فهز (عاموس) كتفيه الرفيعين مشيرًا إلى شاشة حاسبه الآلى النقال فوق فخذيه وهو يقول :

ـ لم يوافنى الإخوة بعد بالتفاصيل ، لكنى أعتقد أنهم قد توصلوا لشىء ما ..

مط (عزرا) شفتيه قائلاً فى استهانة :

ـ ظننتك سبقتنى بالمجىء لتتوصل أنت إلى هذا الشىء !

هتف (عاموس) مدافعًا :

ـ إننى أبذل قصارى جهدى ، أدون (أهارون) ..

نظر (عزرا) إلى أضواء ساحل (مونتيجو) المنعكسة على صفحة المياه وهو يواصل ازدراءه قائلاً :

ـ ألم تكفك سبع ساعات كاملة ؟!

عقد (عاموس) حاجبيه وهو يقول فى ضيق :

ـ لا تنس ، أدون (أهارون) ، أننى أنا الذى اكتشفت الأمر برمته ، صحيح أننا كنا نراقب شبكة المكتب (١٧) من جميع مداخلها ومخارجها الممكنة طوال الوقت ، لكنى كنت أنا الذى نبه إلى ذلك الجدار النارى الجديد الذى يبنونه حول النظام وإلى احتمالية وجود خطر ما بالداخل أرادوا عزله عن باقى الشبكات المتصلة دائمًا به ، وأننى أيضًا من اكتشف وجود (حصان طروادة) فى نظامهم ، ولولا تتبعى لذلك الشخص الغامض المدعو (هرقل) وعثورى عل مكانه هنا فى (جامايكا) لما عرفنا أبدًا بأمر البرنامج المضاد الذى نسعى لحيازته قبل أن يفعل المصريون ..

قال (عزرا) فى امتعاض :

ـ لن نفعل شيئًا أبدًا بهذا البطء ..

قال (عاموس) هازًا كتفيه مرة أخرى :

ـ ليس فى الإمكان أبدع مما هو كائن بالفعل ، أدون (أهارون) ..

ـ وهل سنقف مكتوفى الأيدى حتى يحصل المصريون على برنامجهم بالفعل ؟!

ـ ما زلنا نبحث فى سجلات المطار والفنادق والمنتجعات السياحية وحتى المطاعم والبارات والملاهى عمن يصلح ليكون (هرقلنا) المنشود ..

أشاح (عزرا) بيديه قائلاً فى تهوين :

ـ لا بد وأن المصريين أيضًا يحاولون ذلك من جانبهم ..

ـ لكننا على الجانب الآخر نحاول استقراء أفكارهم ، ونسعى لمعرفة هوية رجلهم الذى سيرسلونه للمهمة ، سيمكننا هذا ـ فى أضعف الأحوال ـ من اقتفاء أثره ومعرفة هوية (هرقل) هذا عن طريقه ، ثم ....

وأردف باسمًا :

ـ الباقى خاص بك ، أدون (أهارون) ..

تململ (عزرا) فى جلسته وقال فى ضجر :

ـ أتمنى ألا يقتلنى الملل قبلها !

برقت عينا (عاموس) وهما تحدقان فى الشاشة أمامه ، ثم إنه فرقع بإصبعيه هاتفًا فى نشوة منتصر :

ـ كلا ، لن يحدث هذا أبدًا ، أدون (أهارون) ..

ـ عسى أن تكون قد توصلت لشىء ذى قيمة ..

ـ معلومة بمليون دولار يا زعيم !

قال (عزرا) مقطبًا :

ـ لو كنت تقصد توصلك لهوية (هرقل) فـ....

قاطعه (عاموس) وهتافه يكاد يبلغ حد الصراخ الحماسى :

ـ إنها صدفة لا تقدر بأموال ، أن تكون مهمتنا الثانية فى مواجهة العرب مع نفس الشخص !

ارتفع حاجبا (عزرا) فى دهشة عارمة ، وفغر فاه سائلاً :

ـ حقًّا ؟! هل ....

واحتبست بقية الكلمات فى حلقه من فرط الإثارة ، و(عاموس) يدير جهاز الحاسب الآلى النقال حول محوره لتكون شاشته على مرمى بصر زعيمه مواصلاً هتافه :

- انظر .. انظر ، أدون (أهارون) .. انظر ماذا وجد واحد من (الإخوة) فى سجلات المغادرين على طائرة (جامايكا) فى مطار (هيثرو) بـ (لندن) .. انظر .. سيكون هنا بعد أربع ساعات على الأكثر !

اتسعت عينا (عزرا) وهو يمعن النظر فى الصورة التى علت الشاشة ، مغمغمًا فى حقد حانق وغضب دفين :

- (عمر زهران) !

* * *

- سالب ، لم يعثروا على هوية (هرقل) الحقيقية بعد ..

قالتها (دينا) ممتعضة بعد أن فتحت آخر الرسائل الإلكترونية الواردة من القاهرة وقرأتها ، ثم واصلت عملها على أزرار حاسبها النقال بينما عقب (عمر) وهو يدير عجلة قيادة (البورش) الزرقاء المستأجرة فى منعطف جانبى أفضى به إلى شارع من شوارع (لندن) الرئيسية النابضة بالحياة برغم الليل المخيم :

- ترى هل سبقنا رجال (الوحدة ٨٢٠٠) ؟!

ظهرت صورة (عزرا أهارون) الثلاثية الأبعاد فوق شاشة الحاسب الآلى وبجوارها بيانات متراصة ، أشارت إليها (دينا) وهى تقول :

- لقد وصل رجلهم منذ دقائق إلى (جامايكا) بالفعل ، بهوية مزيفة بالطبع ..

تنهد (عمر) ثم غمغم :

- بقدر ما أتشوق للقائه من جديد ، بقدر ما تفزعنى الفكرة !

- أى فكرة ؟!

- فكرة أن الوضع مقلوب هذه المرة ، هو يسعى لشىء نملكه نحن(*)..

ودت لو تسأله عن تفاصيل مهمته السابقة معه ، لكنها كانت تدرك أنه لن يخبرها بشىء ، فالسرية والمعرفة بقدر الحاجة ما زالتا قاعدتين ذهبيتين فى عصر السماوات المفتوحة وطرق المعلومات السريعة ..

(*) التفاصيل فى رواية (عملية الشريحة الإلكترونية) ، العدد (٨٤) ..

صمتت وبادلها هو الصمت بأحسن منه ، حتى لاح فى الأفق مطار (هيثرو) العملاق بطائراته المقلعة والهابطة بين الفينة والفينة محدثة هديرها المعهود ، عندما حطم (عمر) جدار الصمت بسؤاله :

- هل ما زلت تحفظين بيانات هويتك الجديدة ؟!

قالت دون أن تنظر نحوه :

- أجل ، (كاثرين كنج) ، بريطانية تعمل مصممة برامج ، وأنت زوجى السير (بيتر شارلمان) رجل الأعمال الناشئ ، ونحن فى طريقنا لـ (مونتيجو) حتى نقضى أسبوعًا من الاستجمام بعيدًا عن ضغوط العمل ومشاق الحياة ..

قال باسمًا :

- بهذا يكون اسمك (كاثرين شارلمان) حرمنا المصون ، إن الرجال قوامون على النساء هنا أيضًا حتى إن الزوجة تحمل لقب عائلة زوجها ..

قالت كأنها لم تسمعه :

- الأكثر أهمية أن نحفظ موعد ومكان لقائنا بالسيد (هرقل) ، الساعة الثانية عشرة ظهرًا أمام مطعم (البجعة) لفواكه البحر ..

قال دون أن تتلاشى بسمته :

- سوف أتذكر هذا إذا لم أجد (عزرا أهارون) فوق رأسى عند مغادرتنا للطائرة ..

نظرت إليه هذه المرة فى تساؤل ، فاستطرد فى بساطة تلقائية :

- لو توصلوا لهويتى قبل وصولنا إلى (مونتيجو) - وهو ما لا أستبعده مع التكنولوجيا المتطورة التى يستخدمونها - فسيجد (عزرا) نفسه فى مواجهة المفاضلة بين خيارين ، الأول أن يهاجمنى فى المطار فور وصولى ، والثانى أن يتبعنى حتى ألتقى بـ (هرقل) فيحصل على البرنامج وعلىّ أيضًا ، ومع أن أبسط قواعد المنطق تقضى بلجوئه إلى الخيار الثانى ، إلا أن معرفتى بالرجل - نظريًا عبر ملفه وعملياته السابقة على الأقل - تجعلنى واثقًا من أنه سيفضل الأول !

- ولماذا ؟!

سألته (دينا) فى اهتمام ، فأجابها بنفس البساطة والتلقائية :

- لقد أذقته أول هزيمة فى حياته ، وبرغم أن هزيمته لم تعن انتصارى طبقًا لمشيئة القدر ، إلا أن أول سمات هذا الرجل أنه يبغض الهزيمة بغض الذبابة لمبيد الحشرات الطائرة !

ابتسمت على الرغم منها لتشبيهه المبتكر ، لكنه أردف بكل جدية :

- أراهن على أنه قد يضحى بأى شىء فى سبيل رأسى ، حتى لو بلغت التضحية حد القبول بفشل عملية أخرى !

* * *

كانت الشمس قد أشرقت فى سماء (القاهرة) ، عندما انفتح باب تلك الغرفة الصغيرة بمبنى (رئاسة مجلس الوزراء) ليظهر من خلفها العميد (منصور حرب) وقد علت ملامحه أقصى أمارات التعب والإرهاق ..

وفور انفتاح الباب ، هب (نادر الشريف) والشاب الأسمر ذو الشعر المجعد واقفين فى احترام ، ودون أن يشير لهما العميد (حرب) بالجلوس ارتمى فوق أقرب مقعد متهالكًا وهو يسأل :

- خيرًا .. طلبتما لقائى فى شأن عاجل على ما أعتقد .. صحيح ؟!

هز (نادر) رأسه متلعثمًا وهو يقول :

- أجل يا سيدى .. فى الواقع .. إننا .. أعنى .. أنا و(فؤاد) ....

فرك العميد (حرب) عينيه ثم هتف منزعجًا :

- تكلم بوضوح واختصار ، نقيب (نادر) .. إننى مرهق بما فيه الكفاية ..

بدا (فؤاد) أكثر تماسكًا وشجاعة وهو يقول :

- فى الواقع يا سيادة العميد ، أنه بشأن (حصان طروادة) ..

نبهت العبارة المراكز المنهكة فى عقل العميد (حرب) فأرسل نظرة ثاقبة إلى (فؤاد) وهو يسأل مقطبًا :

ـ ماذا عنه ؟!

عاد (نادر) يتلعثم من جديد ، بل إن وجهه قد احمر وهو يقول :

ـ لقد عـ .. أعنى .. أننا عرفنا .. من .. الذى .. الذى ..

قاطعه (فـؤاد) قبل أن ينفد صبر (الصقر العجوز) :

ـ إن لدينا معلومات بشأن وجود الفاعل بين صفوفنا يا سيدى ..

هتف العميد (حرب) سائلاً وقد استعاد نشاطه دفعة واحدة :

ـ من ؟! وكيف عرفتما ؟!

تبادل الزميلان نظرة لم يفهم العميد (حرب) معناها ، ثم قال (نادر) محاولاً أن يبدو رابط الجأش :

ـ إنه آخر من يمكن أن يخطر على بال أحد يا سيدى .. إنه .. إنـ .. يا إلهى .. ماذا أقول ؟!

كاد العميد (حرب) ينفجر فيه ، لكن (فؤاد) تدارك الأمر فالتقط خيط الحديث وألقى بالقنبلة دون مقدمات :

ـ إنه النقيب (عمر زهران) بالتواطؤ مع الآنسة (دينا واصف) يا سيدى !

وكادت عينا العميد (حرب) تقفزان من محجريهما !

* * *

بدا مطار (مونتيجو) أشبه بأطلال مدينة مهجورة فى هذا الوقت المتأخر من الليل ، المبكر من الفجر ، وقد أشارت عقارب الساعات المنتشرة فى أنحائه إلى الرابعة ..

ـ « تعلن الخطوط الجوية البريطانية ، عن وصول رحلتها رقم (....) القادمة من (لندن) » .

دوى النداء عبر مكبرات الصوت بعدة لغات ، ولم تمض دقائق حتى كان ركاب الطائرة القلائل ينتظمون فى ثلاثة صفوف أمام ضباط الجوازات ،

وكما يحدث فى كل المطارات عندما لا يكون هناك زحام لم يستغرق الأمر أكثر من دقائق أخرى حتى كانوا يقفون أمام السيور المتحركة القابعة فوقها الحقائب ليلتقط كل راكب فى عربة حديدية ذات عجلات ما يخصه منها ..

دفع (عمر زهران) العربة التى استقرت عليها حقيبة واحدة كبيرة أمامه وقد كسا وجهه قناع البرود الإنجليزى الشهير ، أما (دينا) فلم تكن فى حاجة إلى واحد مثله لأسباب غنية عن الذكر طبعًا !

ـ أتعلمين ؟ أشعر أحيانًا أن عصر التكنولوجيا هذا ما هو إلا فقاعة صابونية ، ألوانها زاهية وشكلها محبب لكنها هشة ومجوفة وعديمة الفائدة !

نظرت (دينا) إليه فى استغراب ، ثم سألته :

ـ ألم تطلب منى ألا أتحدث العربية أبدًا حتى لا ألفت الأنظار ؟!

هز كتفيه وقال ضاحكًا :

ـ وأين هى الأنظار التى سنلفتها ؟!

ثم أردف غامزًا إياها :

ـ كما أنك لا تعرفين هوايتى الأثيرة فى كسر القواعد بعد !

عدلت من وضع منظارها فوق أنفها بحركتها المعتادة ولم ترد ، فقال :

ـ لم أعرف رأيك فى نظرتى الفلسفية العميقة ..

قالت فى اقتضاب :

ـ أرفضها بالطبع !

ـ لماذا ؟! انظرى إلينا .. فى الماضى كنا نحتاج لبطاقات مزورة وأختام و.... و.... أما الآن فكل ما علينا هو العبث بشبكة مطار (مونتيجو) وسفارة (جامايكا) فى (بريطانيا) لندخل البلاد بكل هدوء وثقة !

وتابع (عمر) شاخصًا ببصره فى اللامكان :

ـ أرى عصر المعلومات الذى نحياه الآن مجرد فوضى متنكرة فى هيئة نظامية !

قالت (دينا) دون أن تنظر إليه كالمعتاد :

ـ ذكرنى بأن أكتب تقريرًا فور عودتنا عن انتهاكك للقواعد هكذا بكل بساطة !

مط (عمر) شفتيه فى خيبة أمل وقد أدرك أن محاولته لجعل (أبى الهول) يتكلم ليست إلا حرثًا فى مياه البحر !

ومن بعيد ، من نقطة عصية على الرؤية خلف لافتة إعلانية ترحب بزوار البلاد وتتمنى لهم إقامة سعيدة فى (جامايكا) ، فى شرفة الطابق الثانى ، وقف رجل ذو أنف مدبب وشفتين رفيعتين وشعر أسود لامع وطويل يصوب مسدسًا مزودًا بمنظار ليزرى وكاتم حديث للصوت إلى (عمر) ..

رجل يدعى (عزرا أهارون) ..

ـ لقاؤنا الثانى أيها المصرى ..

وضغطت سبابته الزناد ببطء .. ببطء .. ببطء ..

ـ والأخير !

* * *

٥ ـ جولة ..

مضى وقت طويل حقًا قبل أن يرفع العميد (منصور حرب) عينيه عن شاشة الحاسب الآلى النقال فوق المنضدة ، ويلتفت نحو (نادر) و(فؤاد) هاتفًا بصوت حاكى هدير البحر فى يوم عاصف :

ـ هلاَّ أعدتما على مسامعى كل ما قلتماه من البداية ..

مسح (نادر) بمنديله القماشى قطرات عرق تفصدت فوق جبينه وهو يقول فى ارتباك :

ـ أعلم كم هو دقيق وحساس ومعقد هذا الوضع يا سيادة العميد لكن ....

ضرب العميد (حرب) بقبضته سطح المنضدة وصاح فى سخط عارم :

ـ لم أطلب منك ثرثرة مشفقة أيها النقيب ..

قال الملازم (فؤاد) وقد بدأ الوجل فى اعتلاء نبرات صوته الواثقة :

ـ لقد شاهدت الدليل بنفسك يا سيـ....

صاح فيه العميد (حرب) وقد استبد به الغضب :

ـ وما زلت أطلب منك ومنه إعادة القصة مرة أخرى ..

ـ حسن .. حسن يا سيدى ..

قالها (نادر) محاولاً امتصاص ثورته ، واستطرد فى توتر :

ـ لقد سألونا فى التحقيق كثيرًا إن كنّا نشتبه فى أحد أو إن كان هناك ما لفت انتباهنا قبل أو فى أثناء اكتشافنا لمحاولة قتل السيد (مؤنس كامل) ، وقد كانت إجابتنا واحدة فى كل مرة بالنفى ، لكننا ـ للأسف ـ لم نكن ندلى سوى بنصف الحقيقة فقط ..

وابتلع ريقه ثم تابع :

ـ الواقع أننا ـ أنا و(فؤاد) ـ عند ما كنا نمر أمام غرفة السيد (مؤنس) سمعنا أقدامًا مهرولة عند نهاية الممر ، أراد (فؤاد) أن نستقصى الأمر ونهرول خلفها لكن الشك راودنى فى وجود باب

الغرفة مواربًا ، قررت اقتحامها وقرر (فؤاد) اللحاق بالأقدام المهرولة ، دخلت أنا ورأيت ما رأيت ، أما (فؤاد) .....

والتفت إلى (فؤاد) الذى أكمل قائلاً فى بطء محاولاً الحفاظ على توازن كلماته :

ـ أما أنا يا سيدى فقد انطلقت خلف الأقدام المهرولة ، التى توقفت فجأة أمام أحد الأبواب فى ممر جانبى ، وعند ما تسللت برأسى عبر جدار نهاية الممر رأيتهما يا سيدى واقفيْن أمام باب غرفتك أنت ، النقيب (عمر) والآنسة (دينا) ، لم أصدق الأمر فى البداية ، وعدت أدراجى لكن (نادر) كان قد اتخذ طريقه إليكم طالبًا النجدة ..

قال (نادر) :

ـ عندما أخبرنى (فؤاد) بعدها بشكوكه صدمتنى ، ولم أقبلها أو أستسغها ، وكان هذا سبب اتفاقى معه على إخفاء كل هذا فى التحقيقات ، فـ (عمر) صديقى منذ سنين بعيدة ، ولم يساورنى الشك للحظة فى كونه غير صالح للخـ....

وابتلع بقية الكلمة بينما تابع (فؤاد) مشيرًا للحاسب الآلى النقال :

ـ غير أن الدليل الذى وجدناه بالأمس لم يكن قابلاً للجدل يا سيدى ..

سألهما العميد (حرب) فى جمود وهو يطالع الشاشة مرة أخرى :

ـ وكيف عثرتما عليه ؟! إن كل الأنظمة العاملة فى الإدارة لا تعمل حسبما أعرف !

قال (فؤاد) مجيبًا وهو يفرد ثلاثة أصابع أمام عينى العميد :

ـ ما عدا ثلاثة حاسبات آلية حررها أحدهم بوسيلة ما يا سيدى !

وتابع بعد أن ملأ صدره بنفس عميق :

ـ أنت تعلم يا سيادة العميد أننى كنت خبير حاسبات آلية ومؤثرات بصرية ، خاصة قبل التحاقى بالإدارة وحصولى على رتبة أهلتنى للعمل فى أكثر من عملية خارجية ، وبمحض الصدفة استطعت ليلة

أمس اكتشاف أن واحدًا من الحاسبات الآلية الثلاثة خاص بأنظمة التصوير والمراقبة فى أروقة المكتب (١٧) وغرفه المهمة ، وهو ما لم ينتبه إليه أحد سواى ، وهكذا استطعت الحصول على هذين التسجيلين الرقميين ، أحدهما من داخل غرفة التحكم الشبكى ، والثانى من داخل غرفة السيد (مؤنس) نفسه ..

فى أثناء حديثه كان العميد (حرب) قد ضغط زرًا فى لوحة المفاتيح ، وأخذ يتابع كل تسجيل فى نافذة مستقلة ، فى وقت واحد ، الأول يظهر فيه (عمر زهران) وهو يقترب من الحاسب الآلى المركزى فى غرفة التحكم الشبكى ، ويدس فى سوّاقة الأقراص قرصًا ليزريًا صغيرًا ظهرت بعده على الشاشة الضخمة أمامه الدوائر والبقع الداكنة ، ثم يظهر عند الباب من خلفه وجه السيد (مؤنس) فزعًا ، والثانى يظهر فيه (عمر زهران) ومن خلفه (دينا واصف) ، والأول يصوب مسدسًا مزودًا بكاتم للصوت نحو السيد (مؤنس) الجالس خلف مكتبه رافعًا ذراعيه فى فزع تضاعف مع تفجر الدم من صدره ، و....

كان الأمر أوضح من أن يفسر ..

لقد دس (عمر) (حصان طروادة) فى الحاسب الآلى المركزى لشبكة المكتب (١٧) ورآه السيد (مؤنس) فلاذ بالهرب إلى غرفة مكتبه ليخبر اللواء (عفت) هاتفيًا بما رأى ، لكن (عمر) و(دينا) معه - !! - لحقا به وهو على (الإرجاء) فأطلقا عليه الرصاص ، ثم .....

- وبصفتى خبير فى هذه الأمور أستطيع أن أؤكد لك يا سيدى أن التسجيل سليم مئة بالمئة ، لا تشوبه شبهة التلاعب أو التلفيق !

عقد العميد (حرب) حاجبيه قائلاً فى شك :

- قد أفهم أن يستطيع النقيب (عمر) فعلها ، لكن .. كيف استطاع أن يقنع (دينا) أن تشاركه فى إطلاق النار على خالها بكل هذه البساطة وهذا البرود الذى أراه ؟!

قال (نادر) بعد لحظة من التردد :

- ربما أن هذا لا يعنى بالضرورة أنهما خائنين يا سيدى !

أطلق العميد (حرب) ضحكة عصبية وقال :

- دعابة فى غير وقتها ومحلها يا (نادر) .. وهل لديك تفسير آخر للذى أراه أمامى هذا إذن ؟!

- أنا لدى يا سيدى !

قالها (فؤاد) فى ثبات ، ثم استطرد مفسرًا بعد أن نظر إليه العميد (حرب) فى تساؤل :

- انظر إليهما يا سيدى .: ألا يبدوان لك مختلفين قليلاً عن المعتاد ؟! العينان الثابتتان والأطراف المتخشبة والانفعالات الجامدة ، كل هذه السمات التى تظهر عليهما فى التسجيل ليست من سماتهما الأصليه فى الواقع !

- لقد قلت بنفسك ، ملازم (فؤاد) ، إن التسجيل لا يمكن أن يكون ملفقًا !

- وما زلت مصرًا على هذا ، وإنما أعنى أنهما قد فعلا ذلك تحت تأثير شىء ما !

- التنويم المغناطيسى مثلاً ؟!

- شىء من هذا القبيل ..

ثم تابع فى استطراد :

ـ لقد نشرت مجلة علمية خبرًا حديثًا عن تجربة قام فيها مجموعة من علماء (كوريا) بزرع شريحة إلكتروحيوية فى منطقة (القذال)(*) لعدد من المجرمين بهدف توجيههم إجباريًا نحو الخير والفضيلة وحب المجتمع ، وقد نجحت التجربة نسبيًا ، لكن المعارضين لها أكدوا أنها تجعل من الإنسان (روبوتًا) سهل الانقياد والانصياع ، وأنه كما أننا وجهناها للإصلاح فقد يبرز من يستطيع استخدامها على الوجه الآخر المظلم من القمر ، فى جعل الخيرين مجرمين مثلاً !

سأل العميد (حرب) مغمغمًا :

ـ تعنى أن (الإمبراطور) .... ؟!

ـ الأعراض الغريبة التى ذكرتها هى نفس الأعراض التى صاحبت التجربة ، إنها تجعل الإنسان مغيبًا تمامًا ، ويفيق من تأثيرها لينسى تمامًا ما فعله فى أثناء عملية التوجيه !

(*) قذال : جماع مؤخر الرأس من الإنسان ..

عاود العميد (حرب) النظر نحو النافذتين اللتين تعرضان التسجيل المزعوم فوق شاشة الحاسب الآلى ، وجزء من نفسه يرفض تصديق أن كل هذا قد حدث ..

لكنِ الدليل دامغ والنظرية منطقية وليس ما يمكن أن يفندهما ..

للأسف !

* * *

مشكلة التقنيات المتطورة أنها دائمًا ذات حدين ، كلما منحتك ميزة أضافت لك فى الوقت نفسه نقطة ضعف جديدة !

أتحدث عن المنظار الليزرى فى مسدس (عزرا أهارون) ، فبرغم أنه يمنح دقة لا متناهية فى التصويب بنسبة خطأ تقل عن الواحد من المئة بالمئة ، إلا أن هذا لا يشفع له عند القناصين المختبئين ، إذ يتيح مسافة زمنية ضئيلة لا تتجاوز الثانيتين تتمكن خلالها الفريسة من ملاحظة نقطة حمراء فى مدى ثلاثة كيلومترات هى نقطة التصويب ، وهكذا يسقط أهم عناصر القناص ..

ولأن (عزرا أهارن) لم يسارع بضغط الزناد ، ولأن (عمر زهران) محترف ، تبخر عامل المفاجأة بعد اللحظة الأولى ، عند ما انتبه (عمر) لذلك الضوء الأحمر البعيد عند شرفة الطابق الثانى ، وتحرك على الفور ..

وجدت (دينا) نفسها تسقط منبطحة فوق الأرض إثر دفعة من كفى (عمر) ، وقبل أن تعى شيئا ، وجدت (عمر) منبطحًا إلى جوارها ، وأزّت رصاصة ذات صوت مكتوم فوقهما لتخترق الأرضية السيراميكية بجوارها تمامًا ..

هتف (عزرا) وهو يضغط أسنانه غيظًا وحنقًا :

- اللعنة لقد اكتشف وجودى !

- ما الذى يحدث ؟!

سألت (دينا) وقد استبد بها الخوف الغريزى من الخطر ، فغمغم (عمر) :

- لقد لجأ (عزرا) إلى الاختيار الأول .. كما توقعت تمامًا ..



وجدت (دينا) نفسها تسقط منبطحةً فوق الأرض إثر دفعة من كفى (عمر) ، وقبلَ أن تعى شيئًا ، وجدت (عمر) منبطحا إلى جوارها ..

حاول (عزرا) إعادة التصويب إليهما من جديد ، لكن العربة الحديدية ذات العجلات أخفتهما تمامًا عن ناظريه ، فزاد من الضغط بنتيه على أسنانه حتى كادت لثته تنزف ، وانتزع نفسه من وقفته خلف اللافتة الإعلانية مهرولاً نحو الدرجات الكهربائية الهابطة وهو يدمدم كثور يخور :

ـ سأنال منك أيها المصرى .. سأنال منك ..

ـ الآن ..

هتف بها (عمر) فى صوت خفيض وقد لمح تنازل (عزرا) عن موقعه ، فنهض جاذبًا (دينا) من معصمها خلفه ، ووجدت الأخيرة نفسها مرغمة على النهوض والعدو خلف (عمر) فى اتجاه بوابات الخروج ، وقد شعرت بألم حقيقى من قوة انقباض يده حول معصمها ، لكنها لم تجد الوقت مناسبًا للتأوه !

طاردتهما رصاصات (عزرا) وهو يهبط درجات السلم اثنتين اثنتين ، فشهقت (دينا) مغمغمة فى ذعر :

ـ يا إلهى .. سنموت !

لاتقلقى .. إننى أراه جيدًا عبر زجاج البوابات العاكس أمامنا ..

وبمسار متعرج جعل مهمة (عزرا) فى إصابة أى منهما شبه مستحيلة ، وصل الاثنان إلى بوابات الخروج فى نفس اللحظة التى وصل فيها الأول إلى أرض الطابق الأول ، وأسرع نحوهما وهو يصوب النقطة الحمراء إلى ظهر (دينا) ، منتصفه تمامًا ..

ـ ليكن .. ستبقى مهمة اقتناص النساء أسهل وأجدى ..

غمغم بها (عزرا) لنفسه وقد تجاوزا البوابة رقم (٣) بالفعل ، وهم بضغط الزناد لكن انغلاق البوابة الزجاجية أوتوماتيكيًا كان أسرع منه ، ووجد نفسه مصوبًا المسدس فى النهاية إلى نفسه ، أو لمزيد من الدقة إلى صورته المنعكسة على الزجاج ..

ـ تبًا !

وأطلق الرصاصة ليتهشم الزجاج إلى شظايا متناثرة ، ولتدوى صفارات الإنذارات فى أنحاء

المطـار ، وليظهر عدد قليل من رجال الأمن هنـا وهناك ..

- جيد .. سيعطله هذا عنا قليلاً ..

قالهـا (عمـر) وهو يعدو - وخلفـه (دينـا) - علـى رصيـف بوابـات الخـروج نحـو سـيارة مـن سيارات الأجرة ، غير أنـه ارتطم بشـىء مـا فـى طريقه ..

شـىء ضخم الجثـة ، مفتـول العضـلات إلـى حـد رهيـب ، يعقـد السـاعدين أمـام صـدره ، ويبتسـم ابتسامة صفراء ذات معنى واضح ..

- إلى أين يا عزيزى ؟!

قالهـا بالعبريـة وقد بـدا أشـبه بمـارد مصبـاح (علاء الدين) ، وقبل أن يتفوه (عمر) بشـىء ، بل حتـى قبل أن يفكر عقلـه فـى أى شـىء ، سـمع صوت (عزرا) من خلفه يقول برنـة ظفر :

- مرحبًا يا عزيزى (عمر) !

التفت (عمـر) - ومعـه (دينـا) التى شـهقت واتسعت عيناها فى ارتياع - ليرى (عزرا) مبتسمًا فـى شماتة وهـو يصوب نحوه المسـدس ، وتـابع الأخير :

- أشكر الرب لأنه لم يفوت على فرصة الـترحيب بك فى (جامايكا) !

ابتسم (عمر) - لدهشة (دينا) الشديدة - وقال :

- لقد افتقدتك بشدة يا عزيزى (عزرا) !

جذب (عزرا) صمام الأمان من مسدسه وقال :

- رائع .. أحب هذه الـروح الطيبـة قبل الذهـاب للعالم الآخر بلحظـات ، أراهن علـى أنـك ستفتقدنـى هناك حقًا يا عزيزى ..

وبـدأت سبابته فـى اعتصـار الزنـاد وهـو يقـول ناظرًا إلى ضخم الجثة :

- أما أنت يا عزيزى (شـاؤل) ، فسـأوصى لـك بترقية تستحقها فور عودتنا !

* * *

اتسعت عينا (نادر) فى ذهول ، وهتف لا إراديًا :

ـ ماذا ؟!

نهض العميد (حرب) من جلسته بجوار المنضدة داخل الغرفة الصغيرة ، واقترب من (نادر) واضعًا راحته فوق كتفه ، وقال فى لين :

ـ كما أخبرتك ، نقيب (نادر) .. سأعفى النقيب (عمر) من هذه المهمة ، وسيكون عليك أن تسافر إليه وتعود به !

إزدرد (نادر) لعابه بصعوبة ثم قال مضطربًا :

ـ ولماذا لا ترسلون له بالعودة يا سيدى ؟!

ـ سيثير هذا شكوكه ، وقد تكون نهايتنا لو كان (الإمبراطور) قد جنده ـ سواء بإرادته أو بالشريحة الإلكتروبيولوجية المزعومة ـ كإدارة أمنية لها هيبتها وسمعتها ..

ـ و.. ولكن يا سيدى ..

ـ إننى أضع ثقتى فيك ، نقيب (نادر) فلا تخيب ظنى !

ـ لكن .. لماذا أنا بالذات يا سيدى ؟!

ـ لأنك ـ أنت والملازم (فؤاد) ـ الوحيدان اللذان تعلمان بملابسات الموضوع المعقدة ، وهذا سيجعلك أكثر قدرة على التعامل مع المستجدات والمتغيرات ..

وزفر العميد (حرب) ثم تابع :

ـ ولا تخش شيئًا .. فسأتحمل بمفردى كل التبعات !

ـ وما معنى هذا ؟!

ـ معناه أنك لن تخبر أبدًا بما أنت بصدد فعله ، وبصورة أكثر مباشرة ووضوحًا ستتولى العملية بصورة غير رسمية !

واستطرد عندما رأى أمارات الحيرة والتردد فوق وجه (نادر) :

ـ سوف أقدم لك طلب إجازة ، وبعد ساعة واحدة تسافر إلى (مونتيجو) بطائرة خاصة تقطع المسافة فى سبع ساعات فقط إلى هناك ، وفور وصولك اعثر على (عمر) وخدره وعد به ومعه (دينا واصف) .. مفهوم ؟!

صمت (نادر) محاولاً أن يقتنع نفسه بما يسمع ، واستغل العميد (حرب) هذا الصمت لصالحه فقال :

- ستفعل هذا من أجلى يا (نادر) بصورة شخصية تمامًا ، صحيح أننى عاجز عن تفسير دوافعى وراء هذا التصرف ، لكنى أتوقع منك القبول ، أولاً كابن لى لم أنجبه ، وثانيًا كصديق حميم لـ (عمر) !

أسرت لهجته الأبوية (نادر) ، فظل صامتًا لدقيقة أو يزيد ، حتى إن العميد (حرب) أومأ برأسه فى النهاية قبل أن يتنهد قائلاً :

- حسن .. تستطيع أن تنسى كل ما قلته ، نقيب (نادر) .. إلى اللقاء ..

واتجه نحو الباب مغلقًا عينيه فى ألم ، وقبل أن تمتد يده نحو المزلاج أتاه صوت (نادر) يقول فى حسم :

- لا يا سيادة العميد ..

التفت نحوه العميد (حرب) وهو يتابع قائلاً :

- لست أحب أن أخيب ظن من يضع ثقته بى إطلاقًا ..

ابتسم العميد (حرب) فى ارتياح ، وتابع (نادر) مبادلاً الابتسام :

- ولن يعرف أحد بالأمر ، حتى الملازم (فؤاد) نفسه !

* * *

لو لم ينطق (عزرا) عبارته الأخيرة ناظرًا إلى مساعده العملاق (شاؤل) ، لاختلفت الأمور تمامًا عما حدث بالفعل ..

لو لم ينطقها وسبابته تعتصر الزناد ، لما أتاح ثانية لـ (عمر) حتى يفكر ، وثانية أخرى حتى يقرر ، وثانية إضافية حتى ينفذ ، لكنه أدرك ذلك متأخرًا ..

جدًا !

فقبل أن يتم (عزرا) عبارته التى ظن أنه يجهز بها على البقية الباقية من أعصاب خصمه ، قفز

(عمر) عاليًا لتتعلق قبضتاه بقضيب دان من المعدن يستخدم لتعليق اللافتات الإرشادية ، وقبل أن يعى (عزرا) أن (عمر) قد قفز باتجاهه ، وجد نفسه يطير للخلف لمسافة عدة أمتار وقد سقط منه مسدسه وتفجرت الدماء من أنفه إثر ركلة قوية من قدمى (عمر) فى وجهه مباشرة ..

عادت (دينا) تشهق لهول ما ترى ، وسقط فكى العملاق فى بلاهة ، بينما غير (عمر) من اتجاه تعلقه بالقضيب العلوى ـ بحركة لاعب (ترابيز) عتيد ـ ليواجه (شاؤل) ، وإذ أدرك الأخير ما يحدث زمجر فى غضب ، وتقدم راكضًا باتجاه (عمر) حتى كادت الأرض تتزلزل تحت وطأة قدميه ، غير أن (عمر) سارع بإلقاء جسده فى الهواء نحوه ليسقط فوقه بكل ثقله ..

وبرغم اصطدام رأس العملاق بالأرض ، إلا أنه ظل يزمجر فى وحشية ، لكن (عمر) كال له عدة لكمات فى وجهه ـ من موقعه الأقوى فوقه ـ همد بعدها جسده تمامًا فى غياب كلى عن الوعى ..

لهث (عمر) لحظة ثم نهض معاودًا الإمساك بمعصم (دينا) جاذبًا إياها خلفه ..

ـ هيا بنا ..

كان الذعر قد حولها للوح من الثلج أو الخشب ، لكنها انطلقت فى إثره وقد منحها ذعرها طاقة لتذهب إلى القطب الشمالى ركضًا ، فى نفس اللحظة التى نهض فيها (عزرا) باحثًا عن مسدسه من حوله ، وأسرع يركض هو الآخر باتجاهه حتى أمسكه وصوبه نحوهما من جديد ..

ـ قفا .. سأطلق النار ..

لكنه لم يجدهما أمامه ، كان (عمر) قد دس (دينا) داخل سيارة للأجرة وحشر جسده فيها خلفها ملقيًا بقائدها ـ الذى أخذ يصرخ ويصيح فزعًا ورعبًا ـ من الباب الآخر ، وانطلق بالسيارة بعيدًا فى الاتجاه الآخر ..

ـ كلا .. لن يربح بعد كل هذا ..

هتف بها (عزرا) وقد شعر بالحنق يخنقه ، وقفز ناهضًا ليعدو خلف السيارة المبتعدة ، صوب المسدس وأطلق رصاصتين أصابت إحداهما زجاجها الخلفى واستقرت الثانية فى المصباح الأيسر ، ثم فرغ خزان الرصاصات ..

ـ كلا .. ليس بعد كل هذا ..

هتف بها وقد شعر بالحنق يقتله فعلاً ، وإذ استدار لامحًا اقتراب رجال الأمن منه ، أسرع يركض مختفيًا داخل (كاديلاك) بيضاء ابتعد بها بسرعة ، وشعور بالمرارة يغمره من أعلى رأسه إلى أخمص قدميه ..

لقد ربح (عمر زهران) الجولة الأولى ..

وبكل جدارة !

★ ★ ★

٦ ـ موعد ..

تركت (دينا) مياه الصنبور تنساب فوق وجهها الذى هده التعب والأرق ، ومسحته بالمنشفة التى حملت على طرفها شعار الفندق الذى يقيمان فيه ـ هى و(عمر) ـ قبل أن تخرج لتجد الأخير مستلقيًا فوق أريكة الصالة يقرأ فى كتاب صغير ..

فور رؤيته لها ابتسم ، وأزاح الكتاب جانبًا ليقول فى تعاطف :

ـ لم تنامى أنت الأخرى ؟!

ألقت بالمنشفة فوق مقعد فى طريقها ، قبل أن تقول ملقية بجسدها فوق المقعد المقابل له :

ـ وكيف أفعل بعد ما واجهناه فى المطار ؟!

ـ الأفضل أن تبدئى فى اعتياد مثل هذه الأمور ..

هزت كتفيها لتقول فى تعب :

ـ أنا أمقت العنف بطبيعتى ..

ـ وأنا أيضًا !

وتابع هازًا كتفيه بدوره :

ـ لكن الحاجة ما زالت أم الاختراع !

هزت رأسها إيجابًا ثم سألته مشيرة إلى الكتاب :

ـ ماذا تقرأ ؟!

أجابها باسمًا :

ـ ديوان شعر لـ (أحمد زكى أبو شادى) !

قالت متعجبة :

ـ لا أفهم كيف استطاع عملك المجرد من المشاعر والأحاسيس أن يجتمع بكل هذا الميل الداخلى نحو الشعر الذى هو أرقى مراتب الإحساس ؟!

ـ بكل بساطة .. هذا أنا !

ثم إنه نظر فى ساعة معصمه متابعًا :

ـ ولتستعدى ، فبعد أقل من ساعتين سوف نلتقى بـ (هرقل) أمام مطعم (البجعة) الساحلى ..

سألته فى قلق :

ـ ألا تعتقد أن الإسرائيليين يمكن أن يعثروا علينا قبلها ؟!

ابتسم وقد أدرك أنها لا تسأل إلا لكى يطمئن قلبها ، وأجاب :

ـ أنت تعلمين أن ذلك فى عداد المستحيل ، إننا نستخدم هويات مختلفة للإقامة هاهنا ، والصور الخاصة بنا قد بدلت داخل نظام الفندق الشبكى بمجرد دخولنا ، المسألة منتهية ..

ـ لماذا أشعر بهذا التوتر إذن ؟!

ـ لأنك لم تثقى بى تمامًا بعد !

نظرت إليه وهى تسأل نفسها إن كان محقًا بالفعل ، فاتسعت بسمته وهو يقول :

ـ هيا .. حاولى النوم ولو لساعة واحدة .. فأمامنا يوم شاق للغاية ..

ـ وأنت ؟!

إذا لم يفلح (أحمد أبو شادى) فى جعلى أنام ، فسأجرب (بدر شاكر السياب) بلا تردد !

★ ★ ★

هتف اللواء (عفت حفنى) فى لهجة غضب مستتر :

ـ ما هذا الذى حدث ، عميد (حرب) ؟!

قال العميد فى ثبات دون أنْ يطرف له جفن :

ـ ماذا يا سيادة اللواء ؟!

هتف اللواء (حفنى) وقد بدأ غضبه يتضح ويتزايد :

ـ هل أرسلت النقيب (نادر الشريف) إلى (جامايكا) خلف (عمر زهران) ؟!

أجابَ العميدُ (حرب) بنفسِ الثبات :

ـ هذا خارج نطاق العملية يا سيادة اللواء ..

صاح اللواء (حفنى) :

ـ بل فى صميمها ، عميد (حرب) .. لقد تصرفت بانفعالية طفولية لا تليق بمن هو فى رتبتك ومركزك الأمنى المرموق ..

ـ لدى أسبابى يا سيدى ..

ـ أى أسباب ؟! الشك فى ولاء النقيب (عمر زهران) ؟!

ـ ..... !

ـ لقد أدلى الملازم (فؤاد إمام) بكل ما لديه للجنة التحقيق ، وأصبح موقفك فى غاية الحرج ، عميد (حرب) ..

ـ أنت أكثر من يدرى ماذا يعنى ....

قاطعه اللواء (حفنى) بحدة عصبية :

ـ أدرى .. أدرى ماذا يعنى (عمر زهران) بالنسبة لك .. لكن أى شىء لن يغفر لك أبدًا التصرف بمفردك دون إطلاعنا على معلومات فى غاية الأهمية ..

ـ إننى على استعداد لتحمل المسئولية كاملة يا سيدى ..

ـ المسئولية كاملة ؟! ترى هل سيبقى هذا موقفك لو عرفت ما حدث منذ ساعة واحدة ؟!

عقد العميد (حرب) حاجبيه سائلاً وقد أكل التوتر حنجرته :

ـ ماذا يا سيادة اللواء ؟!

ـ لقد أفاق السيد (مؤنس كامل) وأدلى بشهادته فى الحادث الذى وقع له ..

هتف العميد (حرب) فى ذهول :

ـ حقًا ؟!

ـ لا تندهش هكذا ، فالدهشة آتية مع أقواله ..

ومع كل كلمة نطقها اللواء (عفت حفنى) تصاعد بالفعل شعور العميد (حرب) بالذهول ..

والندم !

★ ★ ★

هز (عاموس) رأسه فى أسف وهو يقول فى امتعاض :

ـ لا شىء البتة ، أدون (أهارون) ..

انهال (عزرا) بقبضته فوق زجاج النافذة المطلة على شاطئ (مونتيجو) وقد تكاثر فيه المصطفون بأثواب الاستحمام والمظلات ومضارب

(الراكيت) ومقاعد البحر المعدة للاضطّجاع مع الشمس التى توسطت كبد السماء الصافية ، ودمدم فى غيظ :

ـ اللعين .. سأسحقه كحشرة تافهة !

تنحنح (عاموس) قبل أن يقول فى حرج :

ـ كان الأجدى أن نتبعه عند خروجه من المطار حتى ....

صاح فيه (عزرا) بغضب هادر :

ـ اخرس .. إياك أن تتدخل فى عملى .. هل فهمت ؟!

واقترب منه بسرعة ليمسك بتلابيبه متمتمًا فى قسوة :

ـ وإلا سحقتك أنت الآخر بقبضتى !

ابتسم (عاموس) فى هلع وهو يصيح :

ـ مفهوم .. مفهوم .. أدون (أهارون) .. إننى لم أقصد أبدًا أن ....

أسقطه (عزرا) فوق مقعده ، ونفض كفيه عائدًا إلى مكانه أمام النافذة ، ثم قال بلهجة حزم آمر :

- واصل البحث ..

- لقد بحثت فى سجلات (مونتيجو) كلها يا سيدى لأكثر من ثلاث مرات ، والإخوة نفضوا أكفهم عنا فور عثورهم على هوية (عمر زهران) الحقـ....

صاح فيه (عزرا) كإعصار :

- قلت لك واصل البحث ..

- حسن .. حسن .. سأفعل ، أدون (أهارون) .. سأفعل ..

وران الصمت لأكثر من عشر دقائق ، قبل أن يقطعه (عزرا) مغمغمًا فى عجب :

- هل حقًّا ما أرى ؟!

نظر إليه (عاموس) فى فضول ، فوجده يحدق فى نقطة ما بأسفل حيث الشارع المطلة عليه النافذة ، وقد تبدلت انفعالات وجهه إلى حد بعيد ..

- هل قلت شيئًا ما ، أدون (أهارون) ؟!

- إنها صدفة رهيبة يا (عاموس) .. صدفة جديرة بفيلم سينمائى أو رواية جاسوسية !

اقترب منه (عاموس) ناظرًا نحو النقطة التى يحدق فيها ، ليجد سيارة برتقالية قد ربضت بجوار رصيف شاطئ البحر (الكورنيش) ، وقد هبط منها شاب حليق بينما بقيت فيها فتاة حسناء أمام عجلة القيادة ..

- رباه .. إنها كذلك بالفعل ..

هتف بها (عاموس) مشدوهًا وهو يشاهد (عمر) يتجه - بعد أن تبادل بضع عبارات مع (دينا) - نحو مطعم (البجعة) الساحلى الذى تطل عليه النافذة ، وتظهر منها لافتته الكبيرة بكل وضوح !

- لن أفوت هذه الفرصة أبدًا ، عزيزى (عاموس) ..

قالها (عزرا) وهو يلتقط مسدسه من فوق منضدة قريبة ، وبدت لهجته أكثر قسوة وشراسة وهو يلوح به قائلاً :

ـ سأنال منه هذه المرة دون أن أضطر للتضحية بنجاح العملية ، وبأكثر الوسائل فاعلية وضمانًا !

واختفى خلف الباب ..

★ ★ ★

ـ كما اتفقنا ، إذا حدث ما هو غير متوقع فإما أن تستخدمى النفير لندائى أو أن تتجهى فورًا إلى نقطة اللقاء المتفق عليها ..

هزت (دينا) رأسها بالإيجاب فى قوة كأنها تنفض عنه المخاوف والإنهاك ، فابتسم (عمر) وهو يهبط من جوارها ، وأردف مستندًا بمرفقيه على حافة زجاج النافذة :

ـ ولا تنسى أن تتركى السيارة فى المكان المحدد بعيدًا عن نقطة اللقاء ..

عادت تهز رأسها ، فابتعد قليلاً وهو يقول مداعبًا :

ـ ما رأيك ؛ منتهى الأناقة .. أليس كذلك ؟!

ابتسمت على الرغم منها وهى ترمق ملابسه المكونة من قميص ذى ألوان فاقعة مع رسوم متكررة

لأسماك وقواقع وشموس ، والبنطلون الواسع الفضفاض ، وعقد الخرز حول رقبته ، والمنظار الشمسى ذى العدسات الحمراء .. منتهى التناقض لكنه الصيف حيث لا قواعد ولا معايير !

ـ أسرع ، فلم يبق على الموعد سوى خمس دقائق ..

ضرب قبضتيه ببعضهما وهو يهتف مداعبًا من جديد :

ـ يا إلهى .. أعيديها ثانية لا أصدق أنك قلت شيئًا أخيرًا !

قالت مبتسمة مرة أخرى :

ـ هيا ولا تضيع الوقت حتى لا يزدحم تقريرى فى (القاهرة) بالسلبيات ..

ـ سنتحدث فى هذا الأمر لاحقًا .. سلام مؤقت !

وابتعد عنها فى خطوات واسعة نحو المطعم الكائن أمام الشاطئ مباشرة ، تاركًا إياها نهبًا للوساوس والاضطرابات والانفعالات الجارفة ،

وبمجرد اختفائه عن ناظريها خلف مبنى المطعم ، ظهر عند الناصية الأخرى من الشارع العريض نسبيًا ، أمام مدخل إحدى البنايات ـ التى يشكل أغلبها فنادق للإقامة تتراوح بين الغلاء الفاحش وتحطيم الأسعار ـ (عزرا أهارون) وهو يخفى مسدسه فى جيب سرواله .. و....

لم تنتبه له ..

أرادت أن تقتل الوقت فحملت حاسبها الآلى المحمول وفتحته وأخذت تطالع أهم الرسائل الواردة فى صندوق بريدها الإلكترونى .. و.....

لم تنتبه لعبوره منتصف الشارع العريض نسبيًا ..

انعقد حاجباها وهى تطالع رسالة ممهورة بتوقيع (الصقر العجوز) وصلت منذ دقائق معدودة ، ومع كل كلمة قرأتها فيها انعقد حاجباها أكثر وأكثر وأكثر .. و.....

لم تنتبه لـ (عزرا أهارون) حتى وهو على بعد متر منها أو أقل ..

أعادت قراءة الرسالة ثانية فى سرعة ، وغمغمت فى حيرة ذاهلة :

ـ ترى .. ماذا يعنى هذا ؟!

انتبهت فقط عندما شعرت بفوهة المسدس تلتصق بصدغها ، فسقط الحاسب الآلى النقال من حجرها ، وسمعت صوت (عزرا أهارون) اللزج يقول فى لهجة مقيتة :

ـ أتعلمين يا فتاة ؟! سأبقى دومًا أردد أن اقتناص النساء أسهل ..

وأضاف وقد حملت نبرته رائحة ما :

ـ وأجدى ..

ارتعدت فرائصها فرقًا ولم يقدر لسانها الذى شله الرعب على النطق ..

إنها تعرف ما هذه الرائحة التى تعبق لهجة (عزرا) .. إنها .....

رائحة الموت ، هى بكل تأكيد !

* * *



انتبهت فقط عندما شعرت بفوهة المسدس تلتصق بصدغها ، فسقط الحاسب الآلى النقال من حجرها ..

الثانية عشرة وخمس دقائق ، تأخر (هرقل) عن موعده المتفق عليه ..

وقف (عمر) أمام مدخل المطعم من ناحية البحر متشاغلاً باللعب على جهاز صغير لألعاب الفيديو - يسمونه (جيم آند ووتش) - ثلاثية الأبعاد منتظرًا أن يتعرفه السيد (هرقل) المزعوم ، فقد أرسل له رجال المكتب (١٧) بصورة (عمر) على عنوان بريده الإلكترونى بموقع (هوت ميل) منذ أقل من ساعة طبقًا للخطة المفترضة كما أخبروه فى (القاهرة) ..

الثانية عشرة وسبع دقائق ..

أطلق (عمر) زفرة ملل وانهمك أكثر فى اللعب حتى طالعته عبارة (انتهت اللعبة) بعد أن استنفد كل الفرص المتاحة لمواصلة اللعب دون هلاك ، مط شفتيه ممتعضًا ونظر إلى ساعة معصمه ..

الثانية عشرة وعشر دقائق ..

ليقتل المزيد من الوقت بالمزيد من اللعب ، حتى ...

ـ صباح الخير يا سيدى ..

رفع (عمر) ناظريه إلى محدثه ليطالع شابًا طويل القامة ، عريض المنكبين ، أحرَقت شمس الاستواء بشرته وقلبت شفتيه للخارج ، وجعّدت سلالته شعر رأسه ليبدو أشبه بحلقات من البصل المخروط ..

ـ نعم ..

ـ إن لدى ما تبحث عنه ..

قالها الشاب باسمًا وقد ظهرت أكثر لهجته الساحلية فى التحدث بالإنجليزية ، فسأله (عمر) فى شك وحذر :

ـ من أنت ؟!

ـ تستطيع أن تدعونى (هرقل) ..

ومال نحوه متابعًا فى همس :

ـ كما أستطيع أنا أن أدعوك بالسيد (عمر زهران) !

ـ دعنا نعقد الاتفاق إذن .. البرنامج فى مقابل المبلغ المطلوب ..

قالها (عمر) فى لهجة عملية بحتة ، فتصنع الشاب الظرف وهو يقول :

ـ لست أرى معك ما يصلح لحمل مبلغ خمس ملايين دولار !

لوح (عمر) بجهاز (الفيديو جيم) الصغير الذى يحمله قائلاً :

ـ ما رأيك فى هذا ؟!

عقد الشاب حاجبيه فى تساؤل وقد ظن أن (عمر) يسخر منه ، لكن الأخير أردف :

ـ قد تبدو لك مجرد لعبة الفيديو الشهيرة (عهد الإمبراطورية) ، لكنها فى الحقيقة حاسب آلى متكامل أستطيع منه تحويل المبلغ المطلوب لأى حساب بنكى تريده ..

أطلق الشاب صفير إعجاب وهو يهتف :

ـ واو .. يا للتكنولوجيا !

ـ والآن ..

قالها (عمر) وهو يبسط راحته الفارغة أمام عينى الشاب ..

- أين هو البرنامج ؟!

- اتبعنى من فضلك ..

وسار الشاب لكن (عمر) استوقفه سائلاً :

- إلى أين ؟!

قال الفتى بلهجة غامضة :

- إلى حيث البرنامج .. اتبعنى ولن تندم ..

سار الفتى وقد انغرست قدماه فى رمال الشاطئ البيضاء مع كل خطوة ، وهز (عمر) كتفيه فى تسليم وتبعه سائرًا خلفه ، ولم يمض وقت طويل حتى كانا قد بلغا كوخًا من أكواخ الاصطياف المشيدة بأعواد البوص ، ووقفا أمام بابه ذى الستار المسدل عليه ..

- ثم ماذا يا سيد (هرقل) ؟!

سأل (عمر) وهو يعدل من وضع منظاره ذى العدسات الحمراء فوق أنفه ، فابتسم الشاب ابتسامة صفراء وقال عاقدًا ساعديه أمام صدره :

- هذه أول كذبة ، أنا لست (هرقل) يا عزيزى ..

قطب (عمر) قائلاً كأنه يتأكد :

- أول كذبة ؟!

- نعم ، وثانى كذبة أننى أحتفظ بالبرنامج المطلوب معى هاهنا !

تحفزت كل عضلات (عمر) مع خروج رجل ضخم ذى لحية شقراء طويل يغطى رأسه بمنديل كبير مزدان بالرسوم (باندانا) من خلف الستار ..

- لكنى لن أجعلك تعود كسير الخاطر .

تبعه آخر أصلع الرأس ذو شارب أسود كث ، ووشم ضخم على صدره وذراعيه .. وثالث زنجى قصير الشعر يتدلى قرط من أذنه اليسرى وقد بدا على ضخامته أشبه بليلة سوداء ..

- هذا لو عدت أصلاً يا عزيزى ..

اقترب الشاب منه وهو يقولها مادًا يده نحو وجهه ببخاخة تحوى مادة ما ، وقد أحاطت به الجدران الثلاثة فى دائرة ذات نصف قطر ضئيل ..

ابتسم الشاب ، وابتسم الرجال الضخام الثلاثة ، واكفهر وجه (عمر) ..

وبرغم أنه لم يفهم كل ما يجرى ..

وبرغم أن الأسئلة انفجرت فى أعماقه كنبع فى صحراء جافة ، أسئلة من نوع (من هؤلاء ؟) و(من وراءهم ؟) و(ماذا يريدون منه ؟) و(ما الذى سيفعلونه به ؟) ، إلا أن حقيقة واحدة فرضت نفسها على الموقف لتمحو كل ما سواها ..

حقيقة أن هذه البخاخة المقتربة منه تحوى خطرًا ما ..

لذا عليه أن يقاوم ..

لكن ..

هل يستطيع ؟!

★ ★ ★

٧ـ تحذير ..

لم تكن الخيارات المطروحة كثيرة ..

لذا فقد بدأ (عمر) فى التحرك دون أن يفكر لحظة واحدة فى التراجع ، ودون أن يترك نفسه فريسة للتردد ..

الخطوة الأولى .. قفز فى الهواء بحركة (كونغ ـ فو) رشيقة راكلاً البخاخة فى يد الشاب المقترب ، الذى تلاشت ابتسامته مع الركلة التى تلقاها بالقدم الأخرى فى وجهه ليسقط دافنًا إياه فى الرمال ..

الخطوة الثانية .. بمجرد أن استقرت قدما (عمر) فوق الأرض مال بجانبه ليستقر كوعه فى بطن ذى الشارب الكث العارى ، ثم إنه أدار ذراعه حول عنقه ـ وهو يطلق صيحة ألم ـ قالبًا إياه فى الهواء نحو ذى اللحية الشقراء و(الباندانا) .. ليسقط الاثنان أرضًا ..

الخطوة الثالثة .. قبضت أصابعه على الرمال وألقى بها فى وجه الزنجى ذى القرط المتدلى من أذنه اليسرى ، ليغمض الأخير عينيه وهو يصيح فى ألم غاضب ، وقفز (عمر) ليكَيل له عدة لكمات فى وجهه ومعدته سقط بعدها فوق الشاب الذى كان يحاول النهوض من جديد ..

غير أن ذا اللحية الشقراء وذا الشارب الكث كانا قد نهضا بالفعل واتجها نحو (عمر) من جديد والعيون الأربع ترغى وتزبد دون صوت يذكر !

الخطوة الرابعة .. أمسك (عمر) بالبخاخة الساقطة من يد الشاب وأطلقها فى وجهيهما ، وسرعان ما خرًا ساقطين كمنزلين آلا للسقوط فى يوم زلزال عنيف !

وقبل أن يستدير (عمر) ، وجدَ يد الزنجى تقبض على معصمه من الخلف ، فسقطت البخاخة منه ، وشعر بالاختناق عند ما طوق الزنجى بذراعه الأخرى رقبته فى قسوة آخذًا فى الضغط عليها بكل قوته ، واستطاعت عينا (عمر) فى جحوظهما أن تلحظا أن الشاب قد أمسك بالبخاخة ووجهها إليه مرة أخرى ، وأنه ابتسم فى ظفر قائلاً :

- من يضحك أخيرًا يضحك كثيرًا يا عزيزى ..

ثم نفض عن وجهه رمال الشاطئ العالقة ، وأردف فى شماتة :

- إلى اللقاء ، وأحلامًا سعيدة يا ..... آى !

صيحة تألم مع الركلة التى تلقاها بين قدميه فجأة سقط بعدها كأرنب برى مذبوح ، يرقص من الألم ، ولم يضيع (عمر) لحظة بعدها ..

الخطوة الخامسة .. تراجع (عمر) بكل ثقل جسده ليهوى فوق الزنجى الذى ارتخت ذراعه قليلاً عن رقبته ، ثم إنه انتفض بقوة محررًا نفسه من قبضته ، ولهث لحظة ثم التفت ليرى الزنجى قد نهض غارقًا فى الرمال ، وبكل ما اعتمل فى نفسه من غضب وحنق ركض الزنجى نحو (عمر) وقد فتح ذراعيه عن آخرهما ..

الخطوة السادسة .. والأخيرة ، انحنى (عمر) مستقبلاً إياه على كتفه وقلبه للخلف ، فطار الزنجى فى الهواء لمسافة بعيدة سقط بعدها فوق كوخ أعواد البوص ليصبح ارتفاعه فى مستوى الأرض ..

وانتهت المعركة فى ثوان معدودة ..

وقف (عمر) يلهث كليثٍ تغلب على قطيع من الضباع ، وأسرع نحو الكوخ المتهاوى باحثًا عن شىء يصلح للدلالة على هوية هؤلاء ، بل إنه فتشهم واحدًا واحدًا ، لكن النتيجة كانت مخيبة للآمال تمامًا ..

ما لم يجد جديد فالمهمة انتهت بكون البرنامج المضاد خدعة من هؤلاء الغائبين عن وعيهم ، والذين لا يحملون أى دلالة على انتمائهم لجهة محددة ، حتى وإن كانت هذه الجهة هى (الإمبراطور) شخصيًا ..

عاد (عمر) أدراجه فى سرعة ، صعد درجات (الكورنيش) نحو السيارة ، وانعقد حاجباه فى قلق رهيب عندما وجد السيارة البرتقالية خاوية على عروشها ، لدرجة أنه لم ينتبه للحاسب النقال الساقط على أرضية مقعد السائق ..

ـ رباه .. أين ذهبت ؟!

غمغم بها فى توتر رهيب وهو يلتفت حوله يمنة ويسرة عساها تكون هنا أو هناك ، وتسارعت نبضات قلبه وهو يواصل غمغمته الوجلة :

ـ لن أسامح نفسى أبدًا لو حدث لها مكروه ..

ووقف حائرًا يضرب أخماسًا فى أسداس ، وقد علت وجهه أقصى أمارات الفزع والاضطراب ، وداخل الغرفة المطلة على المشهد من علٍ ، ضحك (عاموس) ملء شدقيه وهتف فى جذل :

ـ انظر إليه يا زعيم .. ألا يبدو كطفل فقد أمه ؟! انظر إليه .. إنه يوشك على الانفجار بالبكاء !

قال (عزرا) بابتسامة رصينة وهو يمسح ماسورة مسدسه بمنديل :

ـ دعه يبكى ، لينفجر إذا أراد ..

ـ ألن نرسل له الآن بموعد ومكان اللقاء ؟!

ـ ونفوت فرصة المرح الأكبر ؟! كلا يا عزيزى .. دعنا نر ما سيصل إليه أولاً ..

ـ يا له من مسكين ، إن منظره هكذا لمحزن حقًا ، أدون (أهارون) ..

ـ سأقتله ببطء يا (عاموس) .. رويدًا رويدًا .. وسأربح المعركة كاملة هذه المرة ..

وأضاف فى لهجة مخيفة :

ـ عندما أعـود بالبرنامج المضـاد ، وأقتلـه .. وأقتلها ..

نطق الكلمة الأخيرة مشيرًا إلـى (دينـا) المقيـدة فى مقعـد خشبى فـى منتصف الحجـرة ، وقـد نجـح الشريط اللاصـق فـوق فمهـا فـى كتـم صـوت بكائهـا نسبيًا ..

غير أن دموعها التـى انهمرت بـلا توقـف إثـر عبارته قالت الكثير .. جدًّا !

★ ★ ★

قبضت أصابع العميد (منصـور حـرب) علـى سماعـة الهاتـف ، ومـال نحـو عامـل البدالـة فى (رياسـة مجلس الـوزراء) سـائلاً إيـاه فـى صـوت خفيض مشبع باللهفة المتوترة :

ـ هل أنت واثق من الاسم ؟!

هز العـامل رأسـه بالإيجـاب وهـو يقـول مراجعًـا البيانات المدونة فى ورقة جانبية صغيرة :

ـ تمام الثقة يا سيدى .. النقيب (عمر زهران) !

وضع العميد (حرب) السماعة على أذنـه هاتفًا بنـبرة حملـت كـل مـا جـاش بأعماقـه مـن مشـاعر متناقضة :

ـ آلو ..

ـ سيادة العميـد .. أنـا آسف حقًّـا .. أعلـم أننـى بفعلتى هذه أضـرب قواعد السـرية عرض الحـائط ، لكن ....

قاطعه العميد (حرب) :

ـ أين أنت يا (عمر) ؟! لقد أرسلنا لك أكثر من دستة رسـائل على البـريد الإلكترونى المتفق عليـه دون أن .....

قاطعه (عمر) بدوره :

ـ سيادة العميد ، لايوجد وقت .. البرنامج المضاد خدعة و.....

صاح العميد (حرب) :

ـ ليس هذا مهمًا الآن ، اسمعنى جيدًا فـ.....

وصاح (عمر) بدوره :

ـ اسمعنى أنت أولاً يا سيادة العميد فأنا أتحدث من كابينة هاتف عمومى والمدة المتاحة تتقلص حتى يكاد الرصيد ينفد تمامًا ..

ـ عد فورًا يا (عمر) ، ستواجه خطرًا شنيعًا من .....

ـ ليس قبل العثور على (دينا واصف) يا سيدى .. لقد اختفت وواجبى العثور عليها قبل عودتى ..

ـ (عمر) ، سوف يقابلك النقيب (نادر الشريف) خلال زمن قياسى ، و....

هتف (عمر) مستنكرًا :

ـ ماذا ؟! (نادر) ؟! هنا فى (مونتيجو) ؟!

ـ إنها قصة طويلة يا (عمر) ..

ـ ماذا حدث يا سيادة العميد ؟!

سأل (عمر) وقد أخذ صدره يعلو ويهبط ، وقبل أن يسمع شيئًا من رد العميد (حرب) أتاه صوت جهورى من خلفه يقول :

ـ سمعتك تذكر اسمى يا صديقى ..

بكل الذهول استدار (عمر) ليجد (نادر) واقفًا خلفه فى جمود ..

ـ (نادر) ؟!

كان العميد (حرب) يهتف عبر سلك الهاتف وقتها :

ـ (عمر) .. خذ الحذر .. لقد أفاق السيد (مؤنس كامل) و....

ـ مفاجأة طيبة .. أليس كذلك ؟!

سأل (نادر) وهو يضع يده اليمنى فى جيب البنطالون الواسع الذى يرتديه ، ولوهلة شعر (عمر) أن صديقه متغير قليلاً !

ـ لست أفهم شيئًا ..

سمع صوت العميد (حرب) كأصداء تردد فى واد مهجور :

لقد أراد (نادر) و(فؤاد) أن يورطاك مع (دينا) فى الأمر .. لكن ....

تساءل (عمر) وسط هذا العبث السيريالى غير المفهوم عن سر ملامح صديقه غير الطبيعية .. العينان الثابتتان والأطراف المتخشبة والانفعالات الجامدة .. هذه ليست من سماته فى الواقع !!

وجاءه الجواب أكثر عبثًا وسيريالية وإمعانًا فى اللامعقول ..

ـ كم أتمنى أن تكون مفاجأة طيبة بالفعل !

وسقط (عمر) على ركبتيه إثر الرذاذ المتناثر من بخاخة (نادر) التى أخرجها من جيبه ليضغط قمتها فى سرعة ، وسقطت السماعة من يده والعميد (حرب) يواصل شرحه للأمور فى انفعال :

ـ لكن العكس هو الصحيح ، نقيب (عمر) .. العكس تمامًا !

ورفع (نادر) عينيه نحو الطائرة المروحية المقتربة من بعيد ، وقد أخذ الاسم المطبوع على جانبيها يظهر فى وضوح تدريجى ..

(الإمبراطور) ..

وإذ هبطت الطائرة مثيرة عواصف ترابية مهولة ، حتى سكنت فوق أرض الشاطئ المنعزلة نسبيًا ، هبط منها رجلان متشحان بالسواد ، حملا (عمر) إلى داخلها ، وتبعه (نادر) وهو يمعن النظر إلى شاشة جهاز (جيم آند ووتش) يحمل اسمًا تجاريًا شهيرًا فى عالم (ألعاب الفيديو) ..

(عهد الإمبراطورية) !

ولم يهتم أحد ـ بطبيعة الحال ـ بإعادة سماعة الهاتف العمومى إلى موضعها ..

ـ لقد انتبهنا لهذه الحقيقة فى وقت متأخر جدًا ، نقيب (عمر) ، لكنى أظننا نستطيع تدارك الأمر قبل حدوث كارثة ..

آلو .. آلو ....

نقيب (عمر) .. ألست معى على الخط ؟!

آلو .. نقيب (عمر) ..

رباه .. لقد وقعت الكارثة لا ريب !

* * *

استرخى (عزرا أهارون) فى جلسته فوق أريكة البحر القماشية على متن القارب البخارى ذى القمرة الوحيدة فى مركزه ، متلذذًا بتدخين سيجارته الطويلة ..

- إنها الرابعة والربع يا زعيم ..

قالها (عاموس) متخذًا جلسته على الأريكة المجاورة له ، فما كان من (عزرا) إلا أن سأله فى لا مبالاة :

- وماذا يعنى هذا يا عزيزى (عاموس) ؟!

- ألم يتأخر صديقنا المصرى قليلاً ؟!

نفث (عزرا) دخان السيجارة ثم قال فى ثقة بلا حدود :

- سيأتى .. كن واثقًا من هذا ..

- لعله لم يتلق الرسالة الإلكترونية ، أعنى أننا شاهدناه يمضى دون أن ينتبه لوجود الحاسب الآلى النقال فى أرضية السيارة ، وبالتالى ....

- سيعرف يا (عاموس) .. وسيأتى ..

واستطرد (عزرا) مفسرًا ثقته اللامتناهية :

- سيجن جنونه ، وسيسعى بكل وسيلة لمعرفة مكان زميلته الحمقاء هذه ، ولن يفوته تفحص بريدها الإلكترونى أبدًا .. عندها سيعرف المكان والموعد ، وسيأتى .. ثم .....

ومر بسبابته تحت عنقه فى إشارة أبلغ من أى تعبير ، فصمت (عاموس) فى رهبة لحظية ، قبل أن يقول فى قلق وهو يلقى بنظرة خفية إلى القمرة القريبة :

- أخشى ما أخشاه أن تنفق الفتاة قبل وصوله ..

ألقى (عزرا) بعقب السيجارة فى مياه البحر اللازوردية ، ونفث سحابة النفس الأخير البيضاء ، وهو يقول ببساطة :

- دعها تذهب للجحيم ، ستموت فى كل الأحوال ..

واكتست نبرته بالتحدى وهو يضيف :

- وهو أيضًا .. غير أنى لابد أن أطمئن إلى نجاح عمليتى أولاً ..

واشتعلت لهجته بنيران الحقد والغل الأسود وهو يغمغم :

ـ سأجعله عبرة لكل من يجرؤ على تحدى (عزرا أهارون) ..

ـ يبدو أنه قد جاء يا سيدى ..

قالها (عاموس) مشيرًا لزورق بخارى صغير فى نفس حجم زورقهما يقترب منهما فى سرعة ودون صوت صادر من محركه ، فتحسس (عزرا) مسدسه تحت ملابسه وهو يغمغم سائلاً فى ريبة :

ـ لكنى لا ألمحه أمام الدفة .. أليس كذلك ؟!

ومع اقتراب الزورق أكثر ، هتف (عاموس) مفسرًا :

ـ إن زجاج القمرة من النوع العاكس يا سيدى ..

هتف (عزرا) وقد بدأ الشك يساوره :

ـ أنا غير مطمئن لهذا الثعلب يا (عاموس) .. كن على حذر ..

ونهض متجهًا إلى مقدمة القارب ، وخلفه (عاموس) فى خطوات مضطربة نوعًا ، وإذ توقف القارب على مسافة مترين منهما هتف (عزرا) :

ـ من هناك ؟!

وتبعه (عاموس) محاولاً أن يضفى على نبراته لهجة أمر وتماسك :

ـ أيًا من كنت ، اخرج رافعًا يديك لأعلى ..

استل (عزرا) مسدسه على الفور عندما باغته صوت أشبه بإطار يتم تفريغه من الهواء ، فانعقد حاجباه وهو يسأل فى غير فهم :

ـ ما هذا ؟!

أشار (عاموس) فى جزع نحو الأنبوب ذى القطر الواسع الذى برز عند مقدمة القارب ، وقد انبعثت منه أبخرة وردية وقرمزية ذات كثافة عالية ، وهتف :

ـ انظر ، أدون (أهارون) .. إنه ....

ـ تبًا ..

شعر (عزرا) بالخدر يتسلل إلى أطرافه ، وبالضباب ينتشر عبر ثنايا عقله ويدغدغ فيه مراكز السبات ، حاول جاهدًا أن يرفع ذراعه فوق أنفه ليمنع تسلل الغاز إلى داخله ، وحاول أيضًا أن يرفع يده القابضة على المسدس ليصوبه باتجاه زجاج القمرة العاكس ، لكنه لم يقو على فعل شىء ، بل إن مسدسه قد سقط منه فى المياه وهو يترنح كالسكارى ..

ـ (عاموس) .. أيها الـ......

نطقها فى إعياء وهو يجاهد للتمسك بوعيه ، وعند ما سقط (عاموس) بجواره فاقدًا للوعى ، أيقن أنها مسألة ثوان حتى .....

وأظلمت الدنيا أمام عينيه فجأة ليسقط إلى جواره (عاموس) بلا حراك ..

بدأ ضخ الغاز يقل شيئًا فشيئًا ، مع ظهور اثنين من المتشحين بالسواد عند باب القمرة ذات الزجاج العاكس ، وكل منهما يرتدى قناعًا واقيًا ، من ذلك النوع الذى يجعل وجه الإنسان أشبه بفرس البحر ..



وحاول أيضًا أن يرفع يده القابضة على المسدس ليصوبه باتجاه زجاج القمرة العاكس ، لكنه لم يقو على فعل شيء ، بل إن مسدسه قد سقط منه فى المياه وهو يترنح كالسكارى ..

خف الاثنان السير نحو حافة الزورق ، وقفزا فى رشاقة فوق الفجوة التى تفصل بين الزورقين ـ والتى قل طولها لنحو متر ـ وقصدا قمرة الزورق الآخر المركزية عابرين فوق جسدى (عزرا) و(عاموس) ، وعندما غابا داخلها ، ظهر ثالث بقناع مشابه اقترب من حافة الزورق فى خطوات حازمة ، ووقف عندها كالديدبان حتى ظهر الآخران وهما يحملان (دينا) الغائبة بدورها عن الوعى تمامًا ..

تعاون الثلاثة فى نقلها عبر الفجوة المترية بين الزورقين ، وعندما تمت المهمة الشاقة بنجاح ، واصل الاثنان حملها نحو القمرة ذات الزجاج العاكس ، بينما قفز الثالث لزورق (عزرا أهارون) ثم وقف يتأمله قبل أن يخرج من جيبه مكعبًا صغيرًا أسود اللون ضغط زرًا فى أحد جوانبه لتضىء على جانب آخر شاشة رقمية صغيرة ..

لصق الثالث المكعب بجسم حافة القارب ، وعاود ضغط الزر ليرتسم رقم 0 : 60 : 00 فوق الشاشة

الصغيرة ، وبعد الضغطة الثالثة على نفس الزر ، قفز الثالث إلى زورقه من جديد ، بينما بدأت الأرقام تتغير فوق الشاشة ..

0 : 59 : 59

0 : 59 : 58

0 : 59 : 57

وابتعد الزورق ماخرًا عباب ماء (الكاريبى) ، بينما واصلت الأرقام عدها التنازلى نحو ....

0 : 58 : 00

نحو النهاية المحتومة !

★ ★ ★

٨ـ الإمبراطور..

اخترق عمود من النار أنف (عمر) شاقًا مساره في أقل من ثانية إلى مخه ، فأفاق على الفور متلفتا حوله فى سرعة وقد تشوشت الرؤية أمام ناظريه قليلاً ..

ـ معذرة يا صاح ، أنتم اكتشفتم (النشادر)(*) وما علينا إلا جريرة الاستخدام ..

دوى الصوت فى وديان أعماقه مصحوبًا بألف صدى ..

ـ .. ثم إنها ما زالت الطريقة المثلى لإيقاظ المخدرين .. كيماويًا !

مع انقشاع السحابات ميز أمامه وجه (نادر) بسماته الجديدة التى جعلته أشبه بآلة لا تعرف المشاعر أو الانفعالات ، لكنه لم يكن المتحدث لحظتها ..

(*) يقال أن غاز النشادر قد اكتشف قرب معبد (آمون) بمصر ولذلك سمى (أمونيا) ..

ـ .. هنا يا سيد (عمر) .. بالأعلى !

رفع (عمر) رأسه ليرى مقعدًا معلقًا بأذرع معدنية إلى السقف ، مقعد أشبه بعرش دون نقوش وزخارف وألوان ، بل هو قطعة من المعدن المشكل فحسب ، ومع استبيانه للجالس فوقه ارتفع حاجباه فى ذهول وهو يهتف غير مصدق :

ـ أنت ؟!

ابتسم الآسيوى ذو الوجه الشاحب والعينين الواسعتين المسحوبتين لأعلى والمختفيتين خلف منظار طبىّ ، وهو يجيب فى زهو :

ـ أجل يا سيد (عمر) ، أنا (الإمبراطور) ..

انتبه (عمر) فى نفس اللحظة إلى جلوسه فوق مقعد معدنى مثبت بالأرض ، وقد قيدت يداه وقدماه بأغلال معدنية تنبع من المقعد نفسه ، لذا فحركته بدت شبه مستحيلة فى جلسة كهذه ، لكن هذا لم يضعف من دهشته أنملة ، أما الآسيوى فقد استطرد وقد امتطت الخيلاء نبرات صوته :

ـ أنا (سنشى أوزاكا) ، الوجه الذى يطالعك مرة على الأقل يوميًا فى مجلة أو صحيفة أو محطة تلفزيونية ، وثانى أغنى رجلين فى العالم بعد (بل جيتس) ، أنا صاحب أقوى مجموعة تكنولوجية تجارية فى الشرق الأدنى ، ومبتكر أجيال الحاسبات الآلية المعروفة باسم (الإمبراطورية) ، وأنا أيضًا من قمت بتصميم لعبة الفيديو ثلاثية الأبعاد (عهد الإمبراطورية) بنفسى ..

وابتسم ملوحًا بآلة صغيرة فى يده وهو يضيف :

ـ لقد عثرنا على منتج من منتجاتنا بحوزتك منذ قليل ، لم أكن أتصور أنك من عملائنا ومعجبينا يا سيد (عمر) ..

هز (عمر) رأسه وهو يحاول استساغة المفاجآة ، وقال :

ـ نعم .. أستطيع فهم هذا بالتأكيد .. (الإمبراطور) .. (الإمبراطورية) .. (عهد الإمبراطورية) .. إنه أنت إذن يا سيد (سنشى) ..

ـ أجل ، وإنه لشرف عظيم لك أن أتنازل وأقابلك ..

ـ سيكون الشرف عظيمًا بالفعل عندما أقضى عليك بنفسى ..

اتسعت ابتسامة (سنشى) فوق وجهه الشاحب ، ولوح بسبابته نفيًا وهو يقول :

ـ كلا .. لست أنا يا صديقى .. ليس الأمر بهذه البساطة أبدًا معى .. مع (الإمبراطور) ..

وأضاف فى اعتداد واعتزاز :

ـ إمبراطور العالم !

ابتسم (عمر) ساخرًا وهو يقول :

ـ ظننتك هجرت هذه الفكرة الحمقاء بعد ما كان مع (الموت الأسود) و(عابثون بلا حدود) !

مط (سنشى) شفتيه وهو يقول فى امتعاض :

ـ هؤلاء الصبية الهواة ؟! كلا ، لقد أعجبونى فموّلت طموحاتهم الصبيانية ، لكن طموحاتى تتجاوز هذه الألعاب بكثير ..

وهز كتفيه مضيفًا :

ـ غير أنى لم أندم أبدًا على الملايين التى أنفقتها عليهم ..

نظر (عمر) إلى القاعة الواسعة من حوله والتى غمرها ظلام دامس إلا من مصباح علوى فوق رأسه وآخر فوق رأس (الإمبراطور) ، حتى (نادر) الذى وضع دورق (النشادر) تحت أنفه منذ دقائق ابتلعه الظلام المحيط ، وقال فى لهجة ذات مغزى :

ـ وهل الملايين إلا قطرة فى بحور المليارات التى تجنيها شركاتك ؟!

ـ بل لأنى لا أندم على شىء فعلته أبدًا يا عزيزى ..

ـ وماذا الذى تنوى فعله ؟! إرسال الملايين من (أحصنة طروادة) عبر شبكات العالم لتقضى على كل ما حققته ثورة المعلومات والاتصالات من تقدم ؟!

عاد (سنشى) يبتسم وهو يقول ضاغطًا أزرارًا ما فوق مسند مقعده :

ـ تفكيرك المنظم يعجبنى يا سيد (عمر) ، لكنى أخبرتك أن طموحاتى تتجاوز هذه الحدود ..

وأضاء عدد من المصابيح العلوية فوق رءوس (نادر) والرجال الذين هاجموه عند الشاطئ وآخرين على يساره ، و(سنشى) يتابع :

ـ انظر .. لقد استطعت تجنيد عشرات ـ بل مئات ـ فى كل بقاع العالم ، صديقك من المكتب (١٧) جندته مع رفيق له من خبراء التكنولوجيا والمؤثرات البصرية لديكم فى إحدى عملياتهما بـ (أندونيسيا) ، دون أن يدريا استطعت زرع شريحتى الذكية فى رأسيهما ليصبحا من جنودى الطيعين ، الأطوع من خاتم فى إصبعى .. انظر إليهم ، إن شريحتى الإلكتروبيولوجية تنقلهم إلى عالم من الحقيقة الافتراضية virtual reality بعيدًا عن واقعهم ، حيث لا آمر ولا ناه سواى .. أنا (الإمبراطور) ، وتستحوذ على تفكيرهم وملكاتهم وحواسهم ليكونوا رهن إشارة من إصبعى ..

هتف (عمر) فى غضب مستعر :

ـ يا لك من وغد ..

هز (سنشى) كتفيه لا مباليًا وقال ضاغطًا بعض الأزرار فوق مسند مقعده :

ـ أراهنك على أن رأيك سيتغير إلى النقيض كليًا بعد أن تصبح واحدًا منهم ..

ـ ماذا ؟!

ستراني الأذكى والأفهم والأقوى ، وهى الحقيقة بلا مراء !

وعاد يستطرد فى استمتاع بعد أن أظلمت الأضواء فوق رءوس تابعيه من جديد :

ـ لقد تلاعبت بكم فى مهارة حقيقية أحسد نفسى عليها .. كنت مثل (الميتادور) الذى يلوح للثور بالملاءة الحمراء فيركض الثور نحوها بقرونه دون تفكير ، وهكذا اجتذبتكم لكل ما أردته تمامًا .. بداية ، هل تعرف كيف كشفت حقيقتك فى (هونج كونج) ؟! بالطبع لا .. فى الواقع أن ذلك تم بالصدفة المحضة .. فأنا يا سيد (عمر) (سوبر نوفا) الحقيقى الذى قمت بالتنكر فى هيئته .. لا تدع عينيك تتسعان هكذا لئلا تسقطا منك على الأرض ! ، نعم .. أنا هو .. كان شخصية وهمية ابتكرتها كمشروع لسلسلة (ألعاب فيديو) ناجحة ، لكنى وجدت أن استخدامها

كستار تجريبى لمجموعات (العبث الإلكترونى) التى أمولها فى عالم (إنترنت) السفلى سيكون أجدى ، وهكذا عاث العابثون فى الشبكة وقاموا بضربات مهولة تحت اسم (سوبر نوفا) ، لكنى أوقفت نشاطهم عند ما كاد الأمر ينكشف ، وأدرجت اسم (سوبر نوفا) مؤقتًا فى سجل المشاريع المؤجلة ، لكنى لم أتوقف عن تمويل عمليات (العبث) والبحث عن الخامات الصالحة لصنع جيش من العابثين يعاوننى فى السيطرة على مقدرات العالم ، كان (العابثون بلا حدود) مجموعة من هذه المجموعات ، لكنهم أخفقوا فى الاختبار ، وبرغم توقعى أن (الموت الأسود) سيفشل عالميًا ، إلا أننى لم أتوقع أن يبلغ بهم الأمر حد كشف أنفسهم بهذا الشكل المؤسف ، خاصة مع كشفى لهويتك أمامهم ، وإتاحتى مكانًا للتخلص منك فى أحد مخازنى ، كانوا أغبياء ويستحقون ما جرى لهم ..

سأله (عمر) :

ـ لماذا إذن طالبتنا بالعمل على إطلاق سراحهم فى مقابل تخليصنا من (حصان طروادة) ؟!

ابتسم (سنشى) أكثر وعاد يستطرد :

ـ كمزيد من التلاعب بكم يا صديقى .. لقد أمرت (نادر) و(وفؤاد) بزرع (حصان طروادة) فى نظامكم ، لكن رئيس القسم العلمى لديكم كاد أن يكشف أمريهما فقاما بالتخلص منه ، بعدها أرسلت لكم أطالب بإطلاق سراح فريقى ، فى نفس الوقت الذى جعلت فيه أحد رجالى يتقمص دور (هرقل) ، وهو شخصية وهمية أخرى ابتكرتها لتتناغم مع الجو الإغريقى للعبة ، ويرسل لكم عرضًا ببيع البرنامج المضاد ، وجعلته يحرر ثلاثة من حواسبكم الآلية عن طريقه لتتم الخدعة على أكمل وجه ، بعدها قام (فؤاد) خبير المؤثرات فى إدارتكم باختلاق فيلم رقمى تظهر فيه مع زميلتك وأنتما تفسدان النظام وتهاجمان رئيس القسم العلمى ، وعرضه على المسئولين عندكم عارضًا نصف الحقيقة الخاص بالشريحة الإلكتروبيولوجية ، وهكذا ضربت عصفورين بنفس الحجر ، فأولاً أبعدت التهمة عن رجلىّ اللذين حامت حولهما الشكوك فى إطلاق النار على رئيس القسم العلمى ، وثانيًا

ألصقتها بكما لإثارة المزيد من الارتباك والتخبط الأعمى فى إدارتكم المسكينة !

ـ ولماذا ؟! ماذا أردت من وراء فعلتك هذه ؟!

ـ أردتك أنت يا سيد (عمر) ..

قالها (سنشى) مشيرًا بسبابته إليه ، فلاذ (عمر) بالصمت وقد انعقد حاجباه ، بينما فسر (سنشى) معنى عبارته قائلاً :

ـ فى البداية كانت غايتى الانتقام ، فلست ممن يطيقون الهزيمة ، بل إن مسًّا من الجنون قد يصيبنى إذا تعرض أحدهم لرجالى ، حتى لو كانوا صبية من (العابثين بلا حدود) ، اجتذبتك إلى هنا وفى نيتى القضاء عليك ، لكننى غيرت رأيى ، واستمتعت للغاية بصراعك مع (عزرا أهارون) هنا فى (مونتيجو) ، فاضلت بينكما لأضم الأصلح إلى قائمة رجالى الأكفاء ، وقد ربحت أنت وخسر هو ..

على الأقل ما زالوا فى (مونتيجو) ، هكذا فكر (عمر) بينما تابع (سنشى) :

ـ لقد ارتكب أخطاءً جسيمة هزت من صورته أمامى كفلتة من فلتات رجال الأمن والقتال ، أولها استقبالك فى المطار بالرصاصات ، وآخر اختطافه لزميلتك فى زورق بحرى يمكن لأى طفل أن يتسلل إليه ويهزمه فيه شر هزيمة ، ولأنى لا أغفر للأغبياء أبدًا ، فقد جعلت عقابه عسيرًا ..

ثم نظر إلى ساعة معصمه مردفًا :

ـ لن تمضى ثوان أخرى حتى ينفجر به الزورق .. بُمْ .. ثم (انتهت اللعبة) !

ـ يا إلهى .. (دينا) !

* * *

فتح (عزرا) عينيه فجأة ..

شمس (الكاريبى) لفحت وجهه بالسخونة واللهبان ..

دوار .. دوار .. دوار ..

تحامل على نفسه وجلس ..

نظر حوله ..

ما زال (عاموس) فى سبات اللاوعى ..

وما زال الدوار ..

ما زالا فى الزورق .. والزورق ما زال فى عرض البحر .. و....

تذكر آخر شىء .. الغاز ..

كان غازًا مخدرًا قوى المفعول شديد التأثير ..

لا بد أن ينهض الآن ، ويستعد للانتقام من الملاعين الذين ....

مهلاً .. ما هذا ؟!

شىء أشبه بمكعب أسود ، تعلوه نقاط حمراء صغيرة ..

كلا .. كلا .. ليست نقاطًا حمراء ..

ليقترب أكثر وسيرى أفضل ..

حابيًا على يديه وقدميه تقدم .. ورأى ..

0 : 00 : 12

هل هى ساعة رقمية ؟!

لماذا لم تكن موجودة قبل أن ....

0 : 00 : 07

يا إلهى ... إنها .....

0 : 00 : 05

ـ (عاموس) .. (عامـوس) .. انهـض أيهـا اللعين .. إنها .....

0 : 00 : 03

ـ قنبلة زمنية .. (عامووووس) !

0 : 00 : 00

صفير ثلاثى لحظى ثم .....

انفجر الزورق بمنتهى العنف ..

بُمْ ..

(انتهت اللعبة !)

★ ★ ★

تعالت قهقهات (سنشـى أوزاكـا) مـع صـوت الانفجار الذى دوى فى الخارج كأنه يمـر بحالـة من الضحك الهستيرى ..

على الأقل ما زالوا فى (مونتيجو) قرب البحر حيث انفجـر الزورق ، هكذا فكر (عمـر) قبل أن يهتف بغضب كأنه زئير أسد جريح :

ـ أقسم أن أجعلك تدفع الثمن غاليًا أيها الحقير ..

بأسارير متهللة قال (سنشى) :

ـ هل أنت غاضـب لعـدوك وخصـمك اللدود إلـى هذه الدرجة ؟!

لم يكـن (عمـر) فـى حاجـة إلـى أن يجيـب ، فصمت رامقًا (سنشى) بنظرة أخافته قبل أن ينتبـه لكونه فى موقع الأقوى ، فتابع غامزًا :

ـ أم هى صديقتك الحسناء ؟!

عاد (عمر) يكرر :

ـ ستدفع الثمن يا (سنشى) ..

ـ اسمى (الإمبراطور) ..

صـاح بهـا (سنشـى) وقـد تغـيرت ملامحـه المسـرورة بـأخرى تعلوهـا الجهامـة والصرامـة ، وتابع :

ـ لا أحد ينادينى بغير هذا اللقب .. مفهوم ؟!

مرارة حقيقية شعر بها (عِمر) تكتسح قلبه وعقله وحنجرته وكيانه بأكمله ..

مرارة .. وحزن .. وألم رهيب ..

هو مسئول عن فقدها .. هو دون غيره ..

ما كان يجب أن يتركها وحدها مهما كلفه الأمر ..

مهما كلفه ..

ترى ، كيف سيعيش بعدها حاملاً هذا الوزر فوق كتفيه ؟!

كيف ؟!

ـ ستدفع الثمن يا (سنشى) .. غاليًا جدًّا ..

كررها (عمر) كأن لسانه قد أصبح إبرة تدور فوق أسطوانة مشروخة ، فقال (سنشى) هازًّا كتفيه فى بساطة :

ـ برغم وقاحتك وسلاطة لسانك إلا أننى مضطر لإبلاغك بخبر حسن ..

وضغط زرًّا فى مسند مقعده لينير بقعة ضوئية إلى يمين (عمر) وهو يكمل :

ـ صديقتك الحسناء معنا هنا ..

تنهد فى راحة غامرة عندما رأى (دينا) إلى جواره بمترين تقريبًا تجلس فوق مقعد مماثل لمقعده ، تحيط بأطرافها الأغلال المعدنية نفسها ، وقد تدلى رأسها فوق صدرها فى غياب عن الوعى ..

ـ حمدًا للّه ..

ـ ستكون من ضمن رعاياى أيضًا ..

قالها (سنشى) وقد برز خارج مسنده حامل تستند عليه شاشة صغيرة ، أخذت تتبدل فوقها البيانات والمعادلات المعقدة مع ضغط الأزرار ..

ـ .. بل إنها ستسبقك بدقائق معدودة ..

التفت نحوه (عمر) هاتفًا فى انزعاج :

ـ ماذا تعنى ؟!

وَالتفت برأسه ثانية ناحية (دينا) عندما صدر ذلك الصوت المعدنى المميز لتروس كهربية صغيرة



تنهد فى راحة غامرة عندما رأى (دينا) إلى جواره بمترين تقريبًا تجلس فوق مقعد مماثل لمقعده ، تحيط بأطرافها الأغلال المعدنية نفسها ، وقد تدلى رأسها فوق صدرها فى غياب عن الوعى ..

تدور ، ورأى ذراعًا من المعدن قد اخترق الحائط خلف مقعد (دينا) متجهًا ببطء نحو مؤخرة رأسها ..

ـ لا .. (دينا) ..

ـ جراحتنا هنا بدون ألم يا عزيزى .. صدقنى لن تشعر صديقتك بأدنى قدر منه ..

رأى (عمر) شريحة بنفسجية اللون فى مقدمة الذراع المعدنى ..

ـ كلا .. توقف أيها الوغد .. توقف أيها الـ....

ـ نسبة النجاح ١٠٠٪ يا عزيزى .. ثق بى .. إن الـ....

ـ كلا .... لا .... توقف ..

ـ .. الشريحة تلتصق وحدها بالجلد ، وتذوب عبر المسام ليعاد تجميعها فى موقعها تمامًا أمام مؤخرة عظم القذال بالجمجمة ، ثم تنطلق منها بعد هذا أهداب طويلة من البلاتين والسيليكون إلى مراكز المخ المختلفة .. ألم أصفها لك (بالشريحة الذكية) منذ قليل ؟! لقد كلفتنى ثروة لكنها تستحق ..

ـ سأوقفك أيها الوغد .. سـ.....

الذراع المعدنى يواصل التقدم ، (عمر) يتملص فى جلسته دون جدوى حتى يكاد الدم ينفجر من معصميه وكاحليه ، و(سنشى) يواصل :

ـ راقب العملية جيدًا يا فتى ، فأنت التالى ، وشعوب الأرض فى طريقها لتصبح دمى متحركة فى يد (الإمبراطور) .. أذكى مخلوق فى تاريخ هذا الكوكب ..

ـ كلا .. كلا ..

يواصل الذراع التقدم ..

ـ تخيل أن تسيطر على كل شىء ، كل شىء ، الحب والحرب ، الحديث والصمت ، الجوع والشبع ، الميلاد والموت ، تخيل أن تكون إرادتك هى الإرادة الوحيدة ، وأن يطيعك الكل بلا جدال ، تخيل أن عقول الناس أجمعها قد أصبحت عقلاً واحدًا كبيرًا هو عقلك أنت ، أى لعبة رائعة تلك ، لكن للأسف ..

الذراع المعدنى أصبح على بعد سنتيمترات ..

ـ هى لعبة لا تصلح إلا للاعب واحد فقط ..

وصاح مخبولاً :

ـ (الإمبراااطووور) !

ـ توقف أيها الجبان .. توقف .. سأ....

امتزج صياح (عمر) بضحك (سنشى) الهستيرى ، والذراع قد أضحى على مرمى حجر من قذال (دينا) ، عندما ....

أصدرت لعبة (عهد الإمبراطورية) رنينًا ما ، فرفعها (الإمبراطور) بين يديه متعجبًا وهو يتأمل الضوء الأخضر الذى توهجت به شاشتها ..

وفجأة .. انقلب المشهد تمامًا ..

توقفت الذراع المعدنية على مسافة سنتيمتر واحد من قذال (دينا) ..

وصاح (سنشى) فى انزعاج لا مثيل له وهو يضغط أزرار مسنده دون جدوى :

ـ تبًا .. ماذا حدث ؟! ما هذا ؟!

وأطلق (عمر زهران) ضحكة هستيرية عالية !!!

* * *

٩ ـ نهايــة ..

ألقى (سنشى) بلعبة (عهد الإمبراطوريــة) المضيئــة شاشـتها بـالأخضر مـن مقعده المعلــق بالسقف ، وعبثًا حاول ضغط أزرار مسنده دون جدوى ، فاقتلع بقبضته الشاشة الصغيرة التى برزت فوق الحامل منذ قليل وألقاها هى الأخرى مزمجرًا فى ثورة :

ـ اللعنة .. ما الذى يحدث ؟!

توقف (عمر) عن الضحك أخيرًا ، ورفع رأسه نحو (سنشى) هاتفًا بحبور :

ـ هأنت ذا يا فخامة (الإمبراطور) ، مقيد مثلى فوق عرشك المرتفع ..

وضحك من جديد ، فاستشاط (سنشى) غضبًا وحنقًا وسخطًا ، وهتف :

ـ سأمزقك إربًا أيها اللعين ..

ـ ها قد تبادلنا الأدوار أيضًا ..

قالها (عمر) ثم هز رأسه فى أسى ساخر وتابع :

ـ أتعلم ؟! كما تمنحك التكنولوجيا القوة ، تمنحك فى الوقت ذاته وسيلة دحر هذه القوة وإفنائها .. قوة التكنولوجيا هى ضعفها فى الوقت نفسه يا عزيزى (الإمبراطور) ..

سابقًا ..

ـ اصمت !

ـ لعلك لاحظت بالتأكيد ـ طبقًا لمعلوماتى عن خبرتك الحاسوبية والتقنية ـ أن رجال الكتب (١٧) قد أضافوا للعبتك العبقرية إمكانات حاسب آلى متكامل من نظام الـ (BIOS)[*] العادى ، لكنى أشك أنك قد توصلت لما هو أهم ..

ـ قلت لك اصمت ..

(*) Basic input - output system : (BIOS) نظام الإدخال ـ الإخراج الأساسى وهى فكرة الحواسب الآلية التقليدية التى نستخدمها فى المنازل والمكاتب ..

ـ شـــريحة إليكترونيـــة نانومترية فى حجـم (ميكروب) ضئيل ، لا يرى بالعين المجردة ، هى فـى الحقيقـة وحـدة (ISDN)(*) متكاملـة تمنحـك ميزتين مهمتين : الأولـى هى القـدرة علـى تتبـع إشاراتها المرسلة دومًا على مدى أربعة وعشرين ساعة فى دائرة نصـف قطرهـا يبـدأ مـن الأرض وينتهى عنـد كوكـب المريـخ ، والثانيـة استحالة كشـفها إلا بوسـائل استشـعار كشـفية خاصـة ذات أحجام ضخمة وتكاليف باهظة ..

ـ اصمت أيها الـ.....

ـ لقـد عـثر رجـال المكتـب (١٧) الآن على مكـانى ، وسجلوا الحديث الذى دار بيننـا ، ومعنـى هذا الضـوء الأخضـر أنهم قد أصبحـوا على مسـافة كيلومـتر واحـد مـن موقعـى هـذا ، ومعنـاه أيضـا أن أسطورة (سنشـى أوزاكـا) (إمـبراطور العـالم) ستنتهى كما انتهت غيرها من الأساطير المتشابهة ..

(*) (ISDN) : Integrated service digital network (شبكة خدمات رقمية متكاملة) تعتبر منظومة شبكية فى جهـاز واحد بمقدوره القيام بمهمات أصعب وأعقد من الحواسب العادية ..

ـ لن أسمح بهذا .. لن أسمح أبدًا ..

ـ .. فهم لن يأتـوا بمفردهـم يا عزيـزى ، بل سيأتى بصحبتهم رجال (المؤسسة) ورجال مكافحة جرائم الحاسب الآلـى فـى كل دول العـالم ، ستجد نفسـك بعد دقيقـة واحـدة أو أقل محاصـرًا بالدبابات والطائرات والعربات المصفحة ومدافع (الهاون) ، ولا بد أن رجال الإعـلام سيكون لهم دور رائد فى هذه العمليـة العالميـة الواسـعة المـدى ، ربمـا تذيـع محطات التلفزيون ومواقع الشبكة العالمية المفتوحـة الآن نبـأ سـقوطك فـى قبضـة العدالـة ، وانهيـار شركاتك وتجميد أرصدتك فى كل بنوك العالم ..

ـ .....

ـ فى كلمة واحدة ، إنها (النهاية) ..

ـ لا ....

قالها (سنشـى) وقد أخذ صوتـه يتهدج ، فقـال (عمر) فى حسم :

ـ (انتهت اللعبة) يا عزيزى (الإمـبراطور) .. كان عليك أن تتوقع كون اللعبة أكـبر مـن أن يلعبهـا أى شخص كان منفردًا ..

وأخذ نفسًا عميقًا قبل أن يردف :

ـ أى شخص كان ..

ـ كلا .. بقيت خطوة أخيرة ..

رفع (سنشى) رأسه فجأة وهو ينطق العبارة بعينين لمعتا ، فعقد (عمر) حاجبيه متوقعًا الشر ، بينما تابع (سنشى) كذئب يحتضر :

ـ هؤلاء الذين لا يعصون لى أمرًا .. جنودى .. جنود (الإمبراطور) ..

سأله (عمر) فى استخفاف :

ـ وكيف ستستطيع السيطرة عليهم ؟! خلتك عرفت أن أنظمة الحواسب الآلية الخاصة بك قد تعطلت بفعل فيروس فتاك أرسله إليك رجال المكتب !

قال (سنشى) فى شراسة :

ـ أنا لا أحتاج أنظمة حواسب آلية للسيطرة عليهم ، إنهم يطيعون أوامرى التى يتلقونها عن طريق الصوت فحسب !

قال (عمر) واستخفافه يتزايد :

ـ لا أعتقد أنهم سيسمحون لك بترف لقاء جنودك !

برقت عينا (سنشى) أكثر وهو يقول :

ـ وهل نسيت من هم هنا ؟!

بلغ الاستخفاف فى لهجة (عمر) حد السخرية وهو يقول :

ـ هل هذا جيشك الذى ستحتل به العالم ؟!

اعتصر (سنشى) قبضته وهو يقول فى غل :

ـ يكفينى الآن أن أراك مقتولاً ..

تسللت الرهبة إلى أعماق (عمر) ـ الذى أيقن عدم قدرته كليًا على الحركة ـ و(سنشى) يتابع :

ـ على يد صديقك القديم !

اتسعت عينا (عمر) فى رعب ، بينما هتف (سنشى) مناديًا فى صرامة :



تقدم (نادر) من الظلام إلى دائرة الضوء فى خطوات رتيبة ، وهو يقول فى آلية :
ـ كما تأمر ، سيدى الإمبراطور ..

ـ جنـدى (نـادر) .. تقدم نحـو السـيد (عمر زهران) ..

تقدم (نادر) من الظـلام إلـى دائـرة الضـوء فـى خطوات رتيبة ، وهو يقول فى آلية :

ـ كما تأمر ، سيدى الإمبراطور ..

ضغط (سنشى) على أسنانه وهو يقول ضاغطًا على حروف كلماته :

ـ ارفع مسدسك ..

امتثل (نادر) ..

ـ كما تأمر سيدى الإمبراطور ..

ـ (نادر) .. كلا ....

ـ تأكد من امتلائه بالرصاصات ..

امتثل (نادر) ..

ـ ممتلئ ، سيدى الإمبراطور ..

ـ (نادر) .. لا .. أنا (عمر) صديق عمرك ..

بدأ (سنشى) يضحك فى تلذذ وحشى ، وقال فاركًا راحتيه ببعضهما :

ـ رائـع .. سأمنحك ترقيـة خاصـة أيها المجند المطيع .. الآن صوب سلاحك نحو السيد (عمـر زهران) عدو الإمبراطورية رقم واحد ..

امتثل (نادر) ..

ـ اجذب إبرة المسدس ..

ـ كما تأمر ، سيدى الإمبراطور ..

هتف (عمر) فى رجاء :

ـ (نـادر) .. أرجـوك أفـق .. ستقتلنـى .. أنا صديقك ..

ضرب (سنشى) قبضته بمسند مقعده ، وألقى بعبارته الآمرة فى راحة :

ـ أفرغ رصاصاتك فى رأس السيد (عمر زهران) على الفور ..

امتثل (نادر) ..

وانطلقت الرصاصات !

* * *

أعظم ما فى الإنسان .. أنه إنسان !

لا تعنـى الكلمـة كتلـة اللحـم والـدم والعظـام والأعصاب السائرة على قدمين ، وإنما تحمل معان أخرى شتى عصية على التفسير .. والتعريـف .. والتنظير ..

تعنى سرًا لم يكتشـفه بحار فـى النفس البشرية إلى يومنا هذا ..

ولـن يكتشفه أى (كولومبـس) أو (مـاجلان) إلى أن يرث اللّه الأرض ومن عليها ..

سر غامض هو ..

سمه الروح ..

سمه الضمير ..

سمه الوجدان ..

سمه المشاعر والأحاسيس ..

سمه ما شئت متى شئت وكيف شئت ..

لكنه سيبقى سرًا ..

هذا السر ما جعل يد (نادر) تتسمر فوق مسدسه فور أن تلقت أذناه الأمر من الإمبراطور ، وبرغم أن الأمر قد انتقل عبر هدب مخى إلى الشريحة الإلكتروبيولوجية فى قذالة ، ومن ثم انتقل إلى مراكز الفعل عبر هدب آخر ، إلا أن يديه زادتا من انقباضهما ، ولم تضغط سبابته الزناد على الفور ..

عقد (سنشى) حاجبيه وهتف فى صرامة قاسية :

ـ ماذا حدث ؟! اضغط زنادك أيها الجندى ..

فهم (عمر) الأمر فى لحظات ، فانطلق يضغط على صديقه بكل ما يملكه ـ وهل يملك سوى الكلمات ؟!

ـ (نادر) .. أنت لست آلة .. أنت إنسان .. إنسان عليك الاختيار ..

تحول انقباض يدى (نادر) إلى رجفة شملت جسده بأسره مع سماعه كلمة (إنسان) ، فصرخ (سنشى) وقد طار صوابه :

ـ لا تسمع كلمات هذا الأخرق .. اقتله على الفور .. اقتله ..

ارتجفت يد (نادر) الممسكة بالمسدس ، وبدأت سبابته فى ضغط الزناد ببطء ، لكن (عمر) صاح بدوره بكل ما اعتمل فى أعماقه من مشاعر صادقة :

ـ قاوم سيطرته عليك يا (نادر) .. لا تدعه يهزمك .. أثبت له أن الإنسان ما زال أقوى من الآلة يا صديقى ..

برغم أن عينى (نادر) لم تريا سوى عدة دوائر يشير مركزها إلى رأس (عمر) مع أمر مخى لا رجعة فيه بضغط زناد المسدس حتى تفرغ رصاصاته ، إلا أن جزءًا منه كان يرفض ..

نعم .. برغم كل شىء ما زالت قوة الرفض موجودة ..

وهذا يحمل معنى مبشرًا ..

معنى كونه ما زال ..

إنسانًا !

عادت يدا (نادر) ـ وقدماه أيضًا ـ ترتجفان ، غمره العرق وند عن حنجرته أنين مكتوم أشبه بمواء هر ، وعاد (سنشى) يصرخ فيه :

ـ اقتله .. اقتله .. اقتله أيها الغبى ..

ـ (نادر) .. قاوم يا صديقى .. أنت تملك الاختيار ..

ـ اقتله ..

ـ أنت تملك الاختيار ..

ـ اقتله الآن ..

(نادر) ينتفض ، كأن أشباحًا تتصارع داخل جسده النحيل ..

ـ أنت إنسان ..

أطلق (نادر) صيحة ألم رهيبة ، وأطلق رصاصته الوحيدة ..

فى منتصف جبهة (سنشى) تمامًا ..

وسقط الاثنان ..

(سنشى) من فوق عرشه المرتفع جثة هامدة جاحظة العينين ، و(نادر) وقد أفقده الصراع القدرة على الاحتمال ..

ذلك الصراع الذى دار فى أعماقه بين قوتين ..

والذى انتهى بانتصار الأقوى ..

الإنسان ..

ـ (نادر) .. هل أنت بخير ؟!

صرخ (عمر) فى هلع وقد تكوم (نادر) على مقربة منه ..

ـ (نادر) .. (نادر) ..

وانخلع قلبه عندما لم يأته رد مناسب ، وقبل أن يعاود النداء مرة أخرى انفتح باب فى ركن القاعة

المظلمة ، وامتلأت القاعة عن آخرها برجال (المؤسسة) ..

ورجال المكتب (١٧) ..

* * *

اندفع (عمر) داخل حجرة خاصة من حجرات (مستشفى النيل التخصصى) هاتفًا :

ـ حمدًا للَّه .. ظننتك لن تنهض أبدًا يا صد....

كان (نادر) مستلقيًا فى سرير أبيض وقد أحاطت رأسه ضمادة ضخمة من (الشاش) الطبى وانسابت المحاليل الوريدية إلى ذراعه عبر أنابيب دقيقة ، ولم تكن بسمته هى التى جعلت (عمر) يبتر عبارته على هذا النحو ، إنما كان السبب هو زحام الحجرة بالزوار ..

العميد (منصور حرب) ، السيد (مؤنس كامل) ، (دينا واصف) ..

ـ إحم .. معذرة .. إننا معتادان على هذه الدعابة بهذه الطريقة و.....

قال العميد (حرب) باسمًا :

ـ لا عليك يا رجل .. أعدها ثانية لو أحببت ..

ابتسم (عمر) لدعابته ، ثم التفت نحو السيد (مؤنس) قائلاً فى احترام :

ـ حمدًا للَّه على سلامتك يا سيدى ..

ـ أشكرك يا سيادة النقيب ..

قال (نادر) :

ـ أنا أيضًا أشكرك يا صديقى ..

سأله (عمر) ضاحكًا :

ـ علام ؟! على منعك من قتلى ؟!

ـ بل على إنقاذى من جحيم كنت سأفنى فيه ..

قالها (نادر) ثم تبعها بمرارة :

ـ لا أدرى حتى الآن كيف استطعت إطلاق النار على السيد (مؤنس) ؟! لن أسامح نفسى أبدًا !

ربت العميد (حرب) ـ الجالس بجواره ـ على كتفه قائلاً فى تهوين :

ـ وهل فعلتها بإرادتك يا (نادر) ؟!

قالت (دينا) :

ـ المهم أننا لن نفقدك فى هذه الحرب الرهيبة ..

وتبعها (عمر) بقوله :

لقد كاد قلبى ينفطر عندما سقطت غائبًا عن الوعى بعد إردائك لـ (سنشى أوزاكا) قتيلاً ..

قالت (دينا) فى أسف :

ـ يا للخسارة .. فاتتنى أكثر الأجزاء إثارة فى العملية ..

تبسموا لمزحتها التى لم تقصدها ، وتبعها (عمر) قائلاً فى محاولة للتحلى بالحكمة :

ـ نعم .. لقد كانت هذه نقطة (الأوج) أو (الذروة) بلغة أهل (الدراما)(*)..

قال (مؤنس) :

ـ كأنكم كنتم تمثلون رواية بوليسية ولم تجابهوا خطرًا حقيقيًا !

(*) باللاتينية تسمى (Climax) ..

قال العميد (حرب) :

ـ من يدرى ؟! ربما يأتى كاتب ما ويحول تفاصيل المهمة إلى رواية ، ويكتب على غلافها [من ملفات المكتب (١٧) الحقيقية] .. أو شىء من هذا القبيل ..

وقال (نادر) مشاركًا فى الحوار الباسم :

ـ سأقترح عليه وقتها أن يسميها (عملية حصان طروادة) !

علت البسمات الصافية وجوه الجميع ، ثم قال السيد (مؤنس) :

تمت السيطرة على خطره والحمد لله ، فقد عثر الرجال فى متعلقات (سنشى أوزاكا) على البرنامج المضاد الذى استخدمه لتحرير الحواسب الآلية الثلاثة ..

سأل (عمر) فى اهتمام :

ـ وماذا عن أتباع الإمبراطور ؟!

أشار السيد (مؤنس) إلى (نادر) قائلاً :

- كنا قد أجرينا جراحة لـ (فؤاد إمام) قبل عودتكم على سبيل التجربة ، تعاون فيها الطاقم الطبى مع الطاقم التقنى فى أول عملية تكنو - جراحية فى التاريخ لاستخراج الشريحة الإلكتروبيولوجية من رأسه ، كانت المشكلة فى تلك الأهداب المنبعثة من جسم الشريحة التى تسللت إلى نسيج المخ نفسه ، إذ قد يؤدى استخراجها لتلف النسيج ومن ثم الإصابة بالشلل التام فى أفضل الأحوال ، وربما أدى إلى وفاة سريعة ، لكننا عثرنا على الحل ، فبمعالجة الشريحة بتيار كهربى ذى جهد وشدة محددين تعود الأهداب إلى الشريحة تلقائيًا ، وتنفصل الشريحة وحدها بعد ذلك ..

والتقط السيد (مؤنس) أنفاسه ثم تابع :

- جارى الآن حصر أتباع الإمبراطور فى كل بقاع العالم ، وسيسافر فريق طبى تقنى من (مصر) لإجراء كل الجراحات فى (جنيف) دون مقابل ..

هتفت (دينا) فى انبهار :

- رائع .. هذه أفضل دعاية لنا أمام العالم ..

قال (عمر) فى بسمة خفية :

- (مصر) وأبناؤها ليسوا فى حاجة إلى دعاية ..

أمن العميد (حرب) على قوله فقال :

- هذا صحيح .. يكفينا فخرًا ما نقلته عنا وسائل الإعلام من كوننا سبب الإطاحة بخطر الإمبراطور .. نحن الذين حددنا موقعه فى تلك الباخرة الضخمة الرابضة فى (الكاريبى) حاملة شعار مؤسسة (الإمبراطور) بكل وضوح !

سأل (عمر) بعد لحظة تردد :

- و.. ماذا يا سيدى عن (عزرا أهارون) ؟!

صمت العميد (حرب) هنيهة ، ثم قال :

- لم نتأكد بعد ، لكن الوحدة (8200) أعلنت وفاته فى حادث انفجار زورق بخارى قرب ساحل (مونتيجو) ..

وأردف بعد أن تنهد :

- ليس أمامنا إلا أن نصدق هذا ، نقيب (عمر) !

لكن (عمـر) لـم يسترح ، وشعر أيضًا أن فى لهجة أستاذه شىء من عدم الراحة ..

غير أنه - فعلاً - لم يكن أمامهما إلا التصديق !

★ ★ ★

[تمت بحمد اللّه]

رقم الإيداع : ٢٠٠١/٢١٣٦

المطبعة العربية الحديثة

٨ ، ١٠ شارع ٤٧ المنطقة الصناعية بالعباسية

القاهرة - ☎ ٦٨٢٣٧٩٢ - ٦٨٣٥٥٥٤